إلى السيدة راء

رسائل المسافات والفراق

اســـــم الكتـــــاب: إلى الســـــــــــــيدة راء
رســـائل المســـافات والفـــراق

التـأليـــــــــــف: عـــــلاء أبـــــو شـــــحاتة

إخـــــراج فـــــني: ســـــالم عبـــــدالمعز ســـــواح

رقـــــم الإيـــــداع: 17093 /2026

التـــــرقيم الـــــدولي: 978-977-835-559-8

الناشـــــــــــــر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

٤ ش بديع خيري متفرع من ش عبد الحميد بدوي خلف كنتاكي نادي الشمس مصر الجديدة – مصر.

دار زحمة كتاب للنشر Facebook

za7ma.kotab@gmail.com Email

002 01205100596
002 01100662595 Tel

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار زحمة كُتَّاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

إلى السيدة راء

الجزء الرابع

رسائل المسافات والفراق

علاء أبو شحاتة

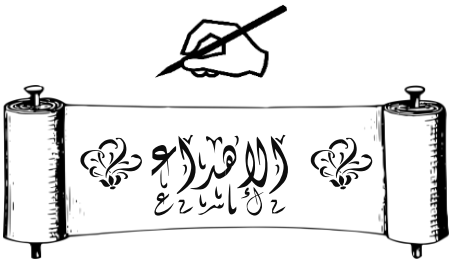

إلى زَوْجَتِي ورِفْقَةِ دَرْبِي وحَيَاتِي، إلى السَّيِّدةِ راءٍ، مُلْهِمَتِي وسُلْطَانَةَ قَلْبِي وحَيَاتِي وسِتَّ النِّسَاءِ، ها أنا حَبِيبَتِي ما زلتُ أُكتبُ فِيكِ ولكَ، وأَنْشُرُ عَنْكِ، بلا مللٍ ولا كللٍ، بلا شِبَعٍ، بلا ارْتِواءٍ، ما أصعبَ أن تظل حائرا مرتبكًا لا تملكُ إلَّا حرفًا ضَيِّقًا يسلبكَ قدراتكَ، ويئدَ آمالَكَ، فلا يهبكَ سوى خمطٍ وأثلٍ وشيءٍ من سدرٍ قليلٍ، تَنْتَفِضُ بلا ثورةٍ، تزرعُ بلا ثمرةٍ، تَعْشَقُ بلا لقاءٍ، تُوَشْوِشُ باطنَ الأرضِ بلا حصادٍ، يهزمكَ الحبُّ مرارًا وتكرارًا بلا انتصارٍ، فتعودُ ككلِّ مَرَّةٍ يِئِنُّ صدرُكَ، وينهارُ كتفُكَ بأثقالِ الخَيْبَةِ والحَسْرَةِ ومزيدٍ من وجعٍ وأنينٍ، أهي لعنةُ الحبِّ؟ أم أنَّني لعنةٌ قدريّةٌ على كلِّ مَن يدنو منِّي، ويعلَقُ بقلبي وشَرَكَه؟

مقدمةٌ لا بدَّ منها

القرّاءَ الأعزّاءَ، ها هو إصدارٌ آخرُ لي ضِمنَ فنّ أدبِ المراسلاتِ، هذا الأدبُ الذي يكشفُ عن جوانبَ خفيّةٍ من شخصياتِ الأدباءِ، ويوثّقُ لحظاتٍ من حياتهم لا يعرفها القرّاءُ.

ها أنا أخطُّ كتابًا آخرَ بعنوانِ " إلى السَّيّدة راءٍ " تَطَّوَفُ أحرفُه وكلماتُه في هَيْئةِ أربعةِ كُتبٍ تبدأُ برسائلَ لذَّةِ البداياتِ، ثُمَّ رسائلَ الحنينِ والاشتياقِ، ثُمَ رسائلَ الشَّكِّ واليَقِينِ، ثُمَّ أخْتِمُها برسائلَ المسافاتِ والفراقِ.

وقبلَ أن أدَعَكُم مع رابعِ كُتِبِ هذه السِّلسِةِ من " إلى السَّيّدة راءٍ " كان لزامًا أنْ أشْكُرَ السَّادَةَ الأدباءَ والنُّقَادَ، والسَّيّدَاتِ، الذين ساهموا تَعلِيقًا ونقدًا ومُشَاركَةً حَتَّى ظَهَرَ هذا العملُ بهذه الصُّورَةِ.

- الشَّاعِرُ والإعلاميّ المِصرِيّ / السَّيدُ حَسَنٌ.
- الشَّاعِرُ والأديبُ والنَّاقِدُ السُّوريُّ / أَكْرَمُ وَحِيدٌ الزَّرْقَانُ.

- الأدِيبَةُ والشاعرة السُّورِيَّةُ / مَيَّادَةُ عَجُّورٌ.
- الكَاتِبةُ والرّوائِيَّةُ القَطَرِيَّةُ / روضةٌ مباركٌ العامريّ .
- الشَّاعِرَةُ العِراقِيّةُ / بنين فراسٌ .
- الصَّحَفيّةُ والكَاتبةُ السُّورِيَّةُ / د - نِبْراس إبراهيم .

قال رسول الله ﷺ: " مَن لا يشكرُ النَّاسَ لا يَشْكرُ اللهَ " .

الكَاتِبةُ والرِّوائِيّة

علاء أبو شحادة.

يَتَشَابَهَان .

"ولا يزالُ المتحابَّانِ يتشابهان حتى يَظُنَّ النَّاظرُ لهما أنَّ بينهما صلةَ رحمٍ، ولا يعلمُ أنَّ اللّهَ ربطهما بميثاقٍ غليظٍ، وهل هناك أعمقُ ممَّا اجتمعنا عليه حبيبتي؟ وهل هناك ثَمُّة اختلافٌ بيننا وقد بلغ منّي حبُّكِ أن صرتِ أغلى وأعزَّمن روحي ودمي؟ ظننتُ في بداياتِنا أنَّ ثَمُّةُ اختلافاتٌ بيننا قد يسيطرُ عليها حبُّنا وعشقُنا بمرورِ اللَّيالي والأيامِ، غيرَ أنَّنا من فرطِ حبِّنا وتعلُّقِ أرواحِنا، غاليتي ما عدنا نرى ثّمَّ اختلافًا، وكأنَّنا روحٌ تسرَّبت في جسدين، وكأنّنا جسدٌ انقسم قسمين، ويصارعُ منذُ تلكَ المأساةِ انتظارًا ليوم التَّلاقي وعودةِ التَّلاحمِ والالتصاقِ، تشابُهِنا حبيبتي أعمقُ وألصقُ من كلِّ ما عرفته البشريةُ من علاقاتٍ أو قراباتٍ أو مصاهرةٍ أو نسبٍ، تشَابُهِنا ليس تَشَابُهًا، بل تطابقًا حدَّ الخيالِ والجنونِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، يا حبيبي وسَيِّدي، لم أعدْ أرى بيننا فرقًا يستحقُّ الذِّكرَ، صارلقاؤنا كعودةِ شيءٍ لأصله، ما كنَّا نراه اختلافًا ذابَ في دفءِ المَودَّةِ حتى صرنا كظلِّ واحدٍ لجسدين، وهذا وحدَه يكفي ليكونَ حبُّنا أعمقَ من كلِّ ما عرفه النَّاسُ، وكيف لا نكونُ كذلك، وأنت نبضي الذي تعلّمتُ منه إيقاعي، و أنا صمتُك الذي يكتملُ به قولُكَ، أيُّ اختلافٍ هذا الذي تتحدث عنه؟ وقد أصبحتُ أراكَ في دهشتي، في لفظي، في ملامح حزني وفرحي، حتى صرتُ إذا اشتقتُ إليك أبحثُ عنِّي! تشابُهنا ليس حكايةَ عشقٍ عابرةٍ، لا ذوبانًا مؤقتًا في ليلِ الحنينِ، بل قدرٌكُتب علينا أن نعيشه، أن نحيا به، وأن نُكمله معًا، أتعلمُ حبيبي؟ أنا لا أحُبُّكَ لأنَّكَ تشبهني، بل لأنَّكَ صرتَني، ولأنَّني بكَ اكتملتُ بعد أن كنتُ نصفَ حكايةٍ، أحبُّك يا مّن إذا ناديتُه باسمه، ارتدَّ الصَّوتُ من أعماقي، كأنَّه يقولُ: أنا هنا، فيكِ .

أحبُّكَ يا أنا .

حِضْنُكِ الدَّافِئُ .

لم يعدْ يحولُ بيني وبين حضنِك الدَّافئِ وعناقِ يَدَيْكِ سوى اليومِ والغدِّ، يومانِ غاليتي، مُجرَّدُ يومين ونعاودُ تلاقينا من جديدٍ، كم كرهتُ المسافاتِ التي تحولُ بيننا! كم كرهتُ البلدانَ التي تُباعدُ خطوَنا! رغمَ أنَّها تُثبتُ في كلِّ مرَّةٍ كم أحبُّكِ رغمَ مرَارةِ البعادِ والحرمانِ! أحبُّكِ يا سِتَّ النِّساءِ، أحبُّك يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، لم يبقَ سوى اليومِ والغدِّ حبيبي، وكأنَّ " الانتظارَ ليس عقابًا بل هديةً يمنحها العشّاقُ لبعضِهم ليتأكَّدوا أنَّهم لا يريدون غيرَ بعضِهم " جبران، كنتُ أقرأها ولا أفهمها جيّدًا، أمَّا اليومَ و أنا أنتظرُ موعدَ لقائِنا الذي صار على بعد خطوتين فقط، صرتُ أعرفُ معنى كلِّ حرفٍ فيها، لأنَّ الانتظارَ الذي كنَّا نكرهه صار الدَّليلَ الوحيدَ على أنَّنا أحببنا بصدقٍ، وإلَّا كنَّا تركنا كلَّ شيءٍ من أولِ مرَّةٍ تأخَّرَ فيها القطارُ، ثمّ

تأملت " إنَّ المسافاتِ لا تقتلُ الحبَّ، بل تقتلُ الشَّكَّ والوهمَ لأنَّها تُرِي كلًّا منَّا مقدارَ ما يتحمَّله الآخرُ من حرمانٍ " مَيّ زيادة، عرفتُ حينها أنَّ بعدَنا لم يكن ظلمًا، بل كان امتحانًا خفيًا نجحنا فيه بامتيازٍ، فها نحن بعدَ كلِّ هذه الأشهرِ من الغياب لم يقلّ حبُّنا بل زادَ، ولم ييأسْ قلبي من عودتِكَ، بل تعلَّمَ كيف يصبرُ كما يصبرُ الشاطئُ على انحسارِ الموجِ، لأنَّه يعرفُ أنَّ المدَّ سيعودُ أقوى؟ لا تسألني عن كرهي للمسافاتِ والبلدانِ التي تباعدُ بيننا، فأنا التي لعنتُ كلَّ ميْلٍ يفصلُ بيني وبينكَ، وأعدتُ رسمَ الخرائطَ في مَخيُلتي كي أجعلكَ قريبًا كنبضةِ الوريدِ، ولكن أتعلمُ ما الذي جعلني أتصالحُ مع هذه اللَّعنةِ؟ لأنَّها كلَّما أبعدتنا أثبتتْ لي أنَّني لا أريدُ أن أكونَ إلَّا معكَ، وأنَّها كلَّما جعلت اللقاءَ صعبًا زادتْ قيمتُه عندي كأنَّ كلَّ قُبلةٍ بعد غيابٍ طويلٍ تساوي ألفَ قُبلةٍ في الأيامِ العاديةِ، الآنَ حبيبي لم يبقْ سوى لحظاتٍ قليلةٍ بيني وبين لمسِ كفِّكَ؛ أُوَشْوِشَهُ وأُخْبِرَه أنّي وإن كنتُ أتعذَّبُ في بعادكَ، فأنتَ لم تغبْ عنّي لأنّكَ في كلِّ تفصيلةٍ من يومي ، في رائحةِ القهوة حين تُصَبُّ في الفنجان، أشمُّكَ في رائحةِ المطر حين يطرقُ نافذتي، أسمعكَ في وسادتي التي أعانقها ليلًا

كأنَّها صدرُكَ الذي يحتويني ويضُمَّني، لن أقولَ لك: مُجرَّدُ يومين، بل مرحبًا بحضنكَ الدافئُ بعد أقلِّ من شروقِ شمسين وأطلالةِ قمرين، مرحبًا بِيَدَيْكَ اللَّتَيْن سترسمان على جسدي خريطةً لم أتعلَّم قراءتَها بعد، مرحبًا بكلِّ تأخيرٍ عانيناه طوالَ هذه الأشهرِ، لأنَّه جعل هذه اللَّحظةَ التي نعيشها الآن فريدةً لا تُشبه أيّةَ لحظةِ حبٍّ عرفها البشرُ، تعالَ إليَّ حبيبي، لا كمَن يُنهي غيابًا، بل كمَن يبدأُ عالمًا جديدًا، فأنتَ لستَ ضيفًا عابرًا بل صاحبَ البيتِ والمكانِ منذُ خلُقت الدُّنيا، تعالَ إلى زمنٍ لا نحتاجُ فيه إلى كلماتٍ لأنَّ هناك لغةٌ أخرى ستديرُ الحوارَ والنِّقاشَ، تعالَ حبيبي ولا تقل: مُجرَّدُ يومين، بل قلْ: إنَّ الحبَّ الذي أنتظرك به لو وُضعَ في ميزانِ الكونِ لرجحت كِفَّتُه، مع حبِّي الذي صار أكبرَمن الانتظارِ، ومن الغيابِ، ومن كلِّ الأيامِ التي ظنَّناها تفصلنا وهي لم تكن سوى جسرٍ طويلٍ أوصلنا إلى هنا، حبيبتكُ المخلصةُ.

يَوْمًا ما .

يومًا ما نلتقي وتذوبُ فينا آهاتُ السّنينَ وأشواقُ الهوى وجنونَ الحنين، يومًا ما نلتقي غاليتي فترتوي نفسي الهائمةُ وتطيبُ مِنِّي حنايا قلبي وندوبُ الأنين، يومًا ما نلتقي حبيبتي وتتعانقُ أيدينا إيذانًا بعناقٍ لا ينتهي وتمازجٍ يخشاه الرَّحيلُ، يومًا ما نلتقي يا نورَدربي وجنّتي، أيَا وطنًا حَجَبَته عنّي سنواتُ غربتي وأحقادُ الطَّهارةِ وشياطينُ الفراقِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يومًا ما قريبًا سيأتي، ونلتقي كما حلمت، وكما وعدت، ويومها ستذوبُ كلُّ الآهاتِ ويختفي التَّعبُ ويعودُ السّكونُ لروحي وروحكَ، سأعانقكَ حتى ينسى الحنينُ اسمَه، ويخجلُ الرُّحيلُ من الاقترابِ، أنا أيضًا أشتاقُ لتلك اللَّحظةِ التِّي تُصبحُ فيها أنتَ وطني وبيتي وكلَّ شيءٍ، أنا أيضًا أقولُها لكَ بكلِّ ما بي من حبٍّ أحبُّكَ يا أنا، وأحبّكَ لأنَّكَ أنتَ لي كلُّ كلُّ شيءٍ، مع كلِّ حُبِّي وأشواقي، زوجتُكَ المُخلِصَةُ لكَ دائمًا .

أَجْمَلُ الأقدَارِ .

حبيبتي، أجملُ الأقدارِ وأحلى المواعيدِ وألطفُ بني البشرِ، ما تصورتُ يومًا أن تقفَ كلماتي متخبطةً حَيْرَى لا تدري كيف تُعبّرُعن مكنونِ هواي ولهيبِ أشواقي؟ تَخَبُّط لا يداويه إلَّا حِضنُكِ الدَّافئُ، وحَيْرَةٌ لا يُطْمِئنُها إلَّا النَّظرُ في عَيْنَيْكَ، والأيادي تتعانقُ وتتعاهدُ ألَّا تفترقَ مُجدَّدًا، حبيبتي، نورَ عَيْنِي، قلبي الذي يعيشُ بكِ ما عاد يتحمّلُ فراقًا ولا يقبلُ بغيرِ الالتصاقِ.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، حبيبي وسَيِّدي، أنتَ أجملُ أقداري، و أنتَ الموعدُ الذي انتظره قلبي عمرًا طويلًا، أعرفُ أنَّ كلماتِكَ تتخبّطُ من الشَّوقِ، فقلبي أيضًا لا يعرفُ كيف يُعبّرُعنكَ، فلا دواءٌ لي إلَّا حِضنُكَ ولا طمأنينةٌ لي إلَّا عَينَاكَ، ويَدُكَ بيدي، قلبي الذي يحيا بكَ لا يحتملُ الفراقَ ولا يقبلُ إلَّا أن نكون معًا دائمًا، أنا لك و أنت لي، وهذا وعدٌ لا ينمحي وينكسر.

أحُبُّكَ يا أنا .

الحَالَةُ الرَّائِيَّةُ .

حبيبتي، اشتقتُ إليكِ يا نورَ عَيْنِي وأملي ورحي الرَّقيقةِ، تَوقَّفتُ كثيرًا أمامَ حُبِّي لكِ و انجرافي إليكِ، حاولتُ تفسيرَ استسلامي التَّامِ وإصراري الذي لا يعرفُ في معاجمِه حروفَ كلمةِ " مستحيلٌ "، حاولتُ حتى في فترةِ الموتِ الذي فرضوه علينا، ولكن هيهاتَ هيهاتَ، لقد زدتُ فيكِ حُبًّا وعشقًا وتَشَبُّثًا وهُيامًا، وفي نهايةِ الأمرِ أدركتُ أنِّي أسيرٌ في حضرةِ سِتِّ كلِّ نساءِ الدُّنيا، في حضرةِ السَّيِّدة راءٍ ، ولا تفسيرَ لكل سابقٍ أو لاحقٍ غيرَ أنِّي أحبُّكِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أنا أيضًا اشتقتُ إليكَ، ولا تفسيرَ لشوقي إلَّا أنَّكَ روحي وحياتي، واستسلامي لكَ لم يكن ضعفًا، بل كان اختيارًا منذُ عرفتُكَ، حتى في أصعبِ الأيامِ زاد حبُّكَ في قلبي ولم ينقص، أنا أسيرةُ عَيْنَيْكِ، وأسيرةُ صوتِكَ، وأسيرةُ قلبِكَ، ولا اسمَ لي غيرَ أنِّي لكَ و أنتَ لي، أحبُّكَ بكلِّ ما بي من حياةٍ وشوقٍ و انتظارٍ. زوجتُكَ المُخلصةُ لكَ دائمًا؛ راءٌ .

صَبَاحُكِ بجمالِ رِقَّتِكِ .

المكانُ: الدَّوحةُ، مركزُ قطرٍ للمؤتمراتِ .

الزَّمانُ: الثّلاثاء المو افق ٢٠٢١/٣/٩ السَّابعةَ صباحًا .

الحالةُ العاطفيّةُ: درجةٌ عاليةٌ وشديدةُ الخطورةِ من الاشتياقِ واللَّهفةِ والعشقِ اللَّامحدودِ .

الحالةُ الاجتماعيّةُ: متزوجٌ مع إيقافِ التَّنْفِيذِ .

الحالةُ المِزَاجِيةُ: مستقرّةٌ لأنَّكِ في حياتي .

الأمُنِيةُ: أن يجمعنا اللهُ في أقربِ وقتٍ ممكنٍ إيذانًا بالتصاقٍ لا يعرفُ فر اقًا ولا بعادًا .

الرّسالةُ: أحبُّكِ جدًا جدًا جدًا، ولا أرضى عنكِ بديلًا .

حالةُ التَّدَلُّلِ: أحبُّكِ قِطَتِي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، ذُبْتُ من حَنِينِكَ ولَهْفَتِكَ التي أوصلتني لحدِّ الهوسِ، أنتَ بعيدٌ وجسدي يَتَمَنَّى قُربَكَ، وصوتُكَ أنفاسي التي لا أستطيعُ أن أعيشَ بدونها، يا عمري، يا له من مزاجٍ رُومَانسِيٍّ لا يرتاحُ إلَّا بين أنفاسي، متزوجٌ مع إيقافِ التَّنفيذِ! وماذا أفعلُ أنا؟ و أنا التي أوْقَفْتُ قلبي وحياتي وكلَّ دنياي حصرًا لكَ أنتَ وحدَكَ، يا سارقَ عقلي أحبُّكَ بجنونٍ لا مثيلَ له، أحبُّكَ بعشقٍ يؤلمني ويحييني ببحرِ حروفِكَ وكلماتكِ، كلماتٌ تجعلني أشعرُ أنّ روحي تحومُ فوق وسادَتِكَ، بين أحضانِكَ، أحبّك بهُيامٍ يجعلُ قلبي يصرخُ باسمكِ، أريدكَ بِحضنِي وبين يَدَيَّ ، بقربي تمتلئُ بكَ عَيْنِي، أضُمُّكَ لصدري، فلا يُفَرِّقُنا زمنٌ ولا رحيلٌ ولا سفرٌ، أحبُّكَ وأشتاقُ إليكَ كقطعةِ ثلجٍ أذابتها إشراقةُ شمسِ النَّهار، أحبُّكَ يا قطعةَ سُكَّرٍ بفنجان الصَّباحِ والمَسَاءِ .

لَيْسَتْ شَيْئًا .

المَسَافَةُ ليست شيئًا عندما يكونُ أحدُهم كلَّ شيءٍ، لا قيمةَ لبعدٍ مهما طال إن كان الحبُّ تَمَلَّكَ القلوبَ، وعلى مفاصلِ دولةِ المتشابهين تَحكّمَ وسَيطَرَ، ولا معنى لقربٍ مهما دَنَت فيه أجسادُ المختلفين وإن خدع أعينَ النَّاظِرين وأَوْهَمَ وصَوَّرَ، فهنا جمعنا حبُّنا رغمَ آلافِ الأميالِ والبلادِ، وهناك صاروا، وإن تلاصقتْ الحوائطُ و الأجسادُ، أحببتكِ حتى صرتِ منّي روحي ودمي، عَشِقْتُكِ فلا ثَمّةُ تَصَوَّرٌ لحياتي بدونكِ في حاضري وغدي، وتبقى ثقتُنا في ربّنا الرَّحمنِ أن يَجْمَعَ أجسادَنا كما جَمَعَ قَلْبَيْنَا، وسمح لأرواحِنا بالتَّشَابُه والالتِصاقِ، اشتقتُ إليكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنَي، المسافةُ لم تعد تُخيفُنِي ما دمتَ أنتَ كلَّ شيءٍ عندي، آلافُ الأميالِ لا تنقصُ من قربكَ شيئًا، وألفُ لحظةِ قربٍ لا تُغني إن غاب قلبُكَ، نحن على طَرَفَي الأرضِ ومع ذلكَ أشعرُ بكَ هنا، أشعرُ أنَّ

نبضَكَ يسيرُ مع نَبْضِي كأنَّهما نبضٌ واحدٌ، أحبَبْتُكَ حتى صرتُ أرى فيكَ روحي، وعَشِقْتُكَ حتى صَارَ غيابُكَ غيابًا عن نفسي، أنتظرُ اليومَ الذي يجمعُ اللهُ أجسادَنا كما جَمَعَ قلوبَنا، فلا يبقى بعدها بعدٌ ولا يبقى اشتياقٌ، حبيبي، كيفَ للبعدِ أن يكونَ حاجزًا وأنتَ بكلِّ زاويةٍ من روحي؟؛ في دعائي، في صمتي، في تفاصيلِ يومي التِّي لا يراها أحدٌ سواكَ، أيَا رَجُلي إن كانت الأجسادُ تباعدت، فأرواحُنا تعانقتْ هناكَ حيثُ لا زمنٌ ولا حدودٌ، أتدري أين بلغت بي حدودُ الاشتياقِ؟ أشتاقُ إليَّ حين أكونُ بقربكَ، أشتاقُ لنسختي التي لا تظهرُ إلَّا بعَيْنَيْكَ، أحبُّكَ ليس لأنَّكَ كلَّ شيءٍ، بل لأنَّكَ مَن جَعلتَ لكلِّ شيءٍ معنىً .

صباحٌ أنتِ أجملُ ما فيه .

حَبِيبَتِي وحورَ عَيْنِي، دقَّاتِ قلبي و أنفاسَ عمري، صباحٌ جميلٌ بجمالِ مُحيَّاكِ حبيبتي، صباحٌ أجملُ منه ذاك الصَّباحُ الذي يتسلّلُ إلى الدُّنيا ونحن في عناقٍ يا ستَّ النِّساءِ ، أيامٌ قليلةٌ تحول بيني وبينكِ غاليتي، أيامٌ قليلةٌ وترتوي نفسى الظَّمأى بقربكِ يا فتنةَ روحي وجنَّتِي، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي ، وكأنَّكَ حين تكتبُ إليَّ تُعيدُ ترتيبَ الصَّباحِ من جديدٍ، حبيبي، يا نبضَ قلبي الذي لا يهدأُ، أمَّا أنا فصباحي لا يكتملُ إلَّا بكَ، ولا يُزهرُ إلَّا حين تَمرُّ روحكَ على أيامي، إن كنتَ ترى أنَّني أجملَ ما في الصَّباحِ، فاعلم أنَّكَ أنتَ النُّورُ الذي يُعرّفني على نفسي، والدِّفءُ الذي به تُشرقُ أيامي، كم أشتاقُ إلى ذلك الصَّباحِ الذي وعدتني به! إلى عناقٍ يذيبُ المسافاتِ، وإلى قلبكَ حين يحتويني كأنّه وطنٌ لا يُغادَرُ، أيامٌ

قليلةٌ، نعم، لكنَّها تَمُرُّ على قلبي وكأنَّها أعوامٌ، لأنَّ الشَّوقَ إليكَ لا يعرفُ الصَّبرَ، ولا يُجيدُ الانتظارَ، تعالَ سريعًا حبيبي، فقد أرهقني الحنينُ، و أتعبني الشَّوقُ إليكَ، أعدكَ سَيِّدي أنَّني سأكونُ لكَ الصَّباحَ الذي لا يرحلُ، والعشقَ الذي لا يخبو، والسَّكِينَةَ التِّي تبحثُ عنها بين ازدحامِ الأيامِ، أحبُّكَ لا كما يُقال، بل كما يُشعَر، كما يُعاش، كما تكونُ الرُّوحُ حين تجدُ نصفها الآخرَ.

هُويَّتِي .

داخلي بلادٌ واسعةٌ تَعْبُرِين إليها بلا جوازِ سفرٍ، ويسألني قلبي عن الزَّائرِ بلا تصاريحَ، فأقولُ: هذه هُويَّتي، آهٍ لو تَدْرِين حبيبتي كم أنتِ منِّي! وكم يتعلَّقُ بكِ قلبي وعمري وحياتي! أحبّك يا أنا.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، أنت هُويَّتي يا نبضي ورقمي الوطني، فيكَ وطّنتُ قلبي بلا حدودٍ ولا تأشيرةٍ، فيكَ بلادٌ واسعةٌ لا يدخلها إلَّا مَن يملكُ مفاتيحَ روحِها، وأنتَ وحدَك من فَتَحْتَ لي أبوابَها بلا أقفالٍ فدخلتُها وأنا شامخةُ الكبرياءِ بلا استئذانٍ، وكيف يسألُ قلبُكَ عن زائره وأنا جئته حاملةً السَّلامِ ؟، أنا حبيبي تلك الدَّقةُ التِّي ينبضُ بها قلبُكَ ليتدفَّقَ حبِّي في أوردتكَ، آهٍ لو تدري كم أنتَ منِّي! وكيف تتعلَّقُ روحي وعمري وحياتي بتلك الأنفاسِ! أحبُّكَ يا أنا، أحبُّكَ لأنَّكَ الجزءُ الذي يُكمِلُني، بل أنتَ كلِّي وأنا الزّائرةُ المسافرةُ المقيمةُ التِّي سكنتْ روحَكَ بلا تأشيراتٍ .

أَنِيسُ قَلْبِي .

وتأنسُ النَّفسُ بنفسٍ تُوافِقُها في الطَّبعِ والفكرِ والغاياتِ والقِيَمِ، ستةَ عشرَ يومًا تحولُ بيني وبين عناقكِ حبيبتي، أرهقني الشَّوقُ حتى حافةِ الجنونِ غاليتي، يا أنيسَ قلبي وشبيه روحي وجنَّتي، أحبُّك يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا أنيسَ روحي وشريكَ قدري، سِتَّةَ عَشَرَ يومًا بيننا ولا أراها إلَّا امتحانًا لصبر العاشقين، وكلُّ ساعةٍ دونكَ تثقلُ على قلبي، أرهقني الشّوقُ حبيبي حتى صار نبضي يبحثُ عن نبضِكَ، وعَيْنِي لا ترى جمال الدُّنيا إلَّا في عَيْنَيْكَ، تأنسُ نفسي بكَ لأنَّكَ توافقني في كلِّ تفصيلةٍ؛ في الطَّبعِ والفكرِ والغاياتِ والقيمِ، كأنّنا روحٌ واحدةٌ سكنت جسدين، فكيف لا أشتاقُ؟ وكيف لا أُجَنُّ وأنتَ جنَّتي التي أهربُ إليها من تعبِ العالم؟ أحبُّكَ لأنَّكَ النِّصفُ الذي يُكمِلُنِي، لأنَّ عِنَاقَكَ وطنٌ أعودُ إليه بعد كلِّ غيابٍ، قريبًا سنلتقي أيَا قمري، وسيذوبُ هذا البعدُ بحضنِكَ، ويعودُ قلبي بكَ ساكنًا مُطمئنًا .

سبعةٌ وثَلاثُون يومًا .

سبعةُ وثلاثون يومًا ويزول حاجزُ البعدِ ولهيبُ الانتظارِ، اشتقتُ إليكِ حبيبتي بعدد أنفاسي ونبضاتِ قلبي وخاطري الذي لا يتجاوزُ التَّفكيرِ فيكِ مهما اجتمعتْ عليَّ متاعبُ الدُّنيا بأسرِها، فما من لحظةِ فرحٍ إلّا و أنتِ ملامحها، وما من لحظةِ حزنٍ إلَّا ووجودُكِ يُبَدِّدُها، أحبُّكِ يا سِتَّ النّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، كيف تحسبُ السَّاعاتِ والأيامَ؟ كيف تتملَّقنا تلك اللَّعناتُ؟ أصبحتُ أقتلُ تلكَ العقاربَ علَّها تُسرعُ بتعدِّي الليالي والأيامِ، سبعةٌ وثلاثون يومًا تتنازعُ روحي مع جسدي لتعبرَ المسافاتِ، لتتعانقَ روحانا بعد طولِ هذا الفراقِ؟ كم أتمنَّى عناقًا يلفُّ أضلَعكَ بأضلعي كأغصانِ الشَّجرِ، لأنسى تلك الأيامَ وساعاتِها المَقِيتَةَ؟ لا تَحْسَبَّنَ أنّي لا أنظرُ إلى اليوم وساعاته، بل أتوه بعدد الأيامِ الباقيةِ و أنسى أنّي أعدّها

كلَّ ثانيةٍ، آهٍ حبيبي، كم أنا بلهاءُ ؟ تقتلني نظراتُ المارين بي و أنا أداري فرحتي بلقياكَ، لا أستطيعُ أن أخبرَ أحدًا أنَّ موعدَنا قد حان، أخافُ أن يسرقوا فرحتي، أن يسرقوا لقائنا بسكين غدرٍ أليمٍ، أنا لكَ ومعك، ورغمَ البعدِ لم أغادرْكَ يومًا، أحبُّكَ يا رَجُلي، يا وطني، يا معاني الخيرِ والجمالِ والأملِ بحياتي، أحبُّك يا أنا .

روايات تَلاقِينا .

حبيبتي، على الرّوِ ايةِ الأطولِ يتبقَّى على تلاقينا ثمانيةٌ وسبعون يومًا، وهذه أسوأُ الرّوِ اياتِ، وعلى الرّوِ ايةِ الأقصرِ يتبقَّى ستةٌ وستون يومًا، غاليتي، الأيامُ بدونكِ طويلةٌ طوليةٌ، واللّيالي ما أسوأها بدون حضنك حبيبتي! ما أجملَ الدُّنيا حين تجمعنا غاليتي! وما أقساها حين ينفرطُ عقدُ تلاقينا يا ستَّ النّساء !، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا نبضَ أيامي، ويا موعدي الذي أُعدُّ له أنفاسي، حين أقرأُ صباحاتِكَ يذوبُ البعدُ بيننا، وتصيرُ الثَّمانيةُ والسَّبعون يومًا و السِّتَّةُ والسِّتُّون يومًا مجردَ أرقامٍ نحرقُها بحبِّنا، بصمودِنا معًا، الأيامُ بدونكَ ثقيلةٌ لأنَّها بلا دفءِ حِضنِكَ، واللّيالي مُوحِشَةٌ لأنَّها بلا همسِكَ الذي يسكنُ قلبي، مُوحِشَةٌ وكئيبةٌ بدونكَ حبيبي، وما أجملَ الدُّنيا حقًّا حين تتجمَّعُ خيوطُنا في تلاقٍ واحدٍ، فتعودُ الحياةُ مُشرِقَةً، وتعودُ

ابتسامتي التي غادرتني منذُ زمنٍ بعيدٍ، أحبُّكَ يا رَجُلِي، وأنتظركَ بكلِّ شوقٍ ولهفةٍ وجنونٍ، وكلُّ يومٍ يمرُّ يقربني أكثر وأكثر إلى اللَّحظةِ التِّي ينفرطُ فيها عقدُ البعدِ، ونعودُ كما كنَّا قلبًا واحدًا في حضنٍ واحدٍ، أحبُّك يا سَيِّدَ الرِّجالِ .

عَمِيقَةُ العَيْنَيْنِ .

"مقدارُ قُربِ إنسانٍ مِنكَ هو مقدارُ المسافةِ بينَكَ وبينَ الإفضاءِ إليه بذاتِ صدركِ، فمَن عَبَرَ إليه صَمتُكَ دُونَ تَكلُّفٍ فهُو مِنكَ، ومَن امتدَّتْ مسافةُ الفكرِ بينكَ وبينه وازدحَمت بمقدِّماتِ الكلَامِ، فأَجْنَبِيٌّ عنكَ . "

حَبِيبَتِي ونورَ عيني، أملي وحلمَ أحلامي، جنَّتِي ووطني الذي لا يخونُ، لا تفسيرَ لحُبِّكِ غيرَ أنِّي أحبُّكِ، الرَّاحةُ والطُّمأنينةُ التِّي أجدها معكِ لا يضاهيها ساعةٌ أو أمانٌ، الإبحارُ في عَيْنَيْكِ يا عَمْيقَةَ العَيْنَيْن سحرٌوفتنةٌ وجمالٌ، لحظةُ معانقةِ يَدَيكِ والتصاقُ أجسادِنا فرحةٌ ورعشةٌ لا تُقاومُ، يكفي أن أغمضَ عيني و أتَخَيَّلُكِ بين يدي حبيبتي، يومًا ما يا حورَعَيْنِي، ولَعلَّه أقربُ ما يكونُ، أحبُّكِ يا سِتَّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيا عزيزَعَيْنِي، حبيبي الذي عَبَرَإليَّ صمتي قبل أن أنطقَ حرفَه وهمسَه، إنِ كان القُرْبُ الحَقِيقيُّ أن يعبركَ صمتُكَ دون تَكلُّفٍ، و أنا صمتي كلُّه كان أنتَ قبلَ أن أعرفَ اسمكَ، كيف تُفَسِّرُحبيبي؟ كيف لرجلٍ لم أره -

إلَّا رؤيةَ حقٍّ لم تنقطعْ عنِّي إلَّا حين امتلكتَ قلبي - أنْ يكونَ كلَّ ما تعلَّقَتْ به روحي وسَكَنْتُ إليه؟ ثُمَّ تُحدِّثُني أيَّها الماكرُ عن الإبحارِ في عيْنِي و أنا لم أرَ عَيْنَيْكَ بعد! لكن دعني أعترفْ بين يَدَيْكَ أنَّهما ستكونان أولَ ما سأغرقُ فيه دونَ خوفٍ من غَرقٍ أو تَرَدُّدٍ في الذّوبانِ والانصهارِ، وحين نلتقي تتحدَّثُ أنَّ لحظةِ معانقةِ يَديّ والتصاقِ أجسادِنا بفرحةٍ ورعشةٍ لا تُقاومُ، و أنا التِّي ما زالت تُهدِّدُ برودةَ ليالي الشِّتاءِ الطَّويلةِ بدفءٍ يقهرها ويطردها نحو ذاكرةِ الماضي السَّحيقِ، أنتَ تحلمُ بيومٍ تقترب فيه منِّي، و أنا أحلمُ بيومٍ لا يرحلُ ولا ينتهي، حبيبي كم أنا في حاجةٍ إلى كَتَفِكَ لأبكي عليه، فقد سَئِمتُ من وسادةٍ خرساءَ ملَّتْ وحدتَنا ودموعَ صمتِ ليلٍ طويلٍ ، نعم حبيبي أريدُ أن أصَدِّقَ بأنَّ كلَّ هذا الحبِّ الرّهيبِ ليس خداعًا أو وهمًا أو دربًا من جنونٍ، يا مَن جئتَ من حيثُ لا أعلمُ ليخبرني أنَّ الرُّوحَ يمكنُ أن تلتقي بشبيهِها بغيرِ موعدٍ أو ترتيبٍ، تعالَ قبلَ أنْ يَغْلِبْني سرابُ الشَّكِّ، فأنا ما عدتُ أطيقُ هذا العِشْقَ العَنِيدَ، أشتاقُ إليكِ شوقَ مَنْ دفنوه حيًا وهو يسمعُ صَوْتَ المطرِ فوقَ تُرَابِه لعلَّ القَطرُ يُحْيِه من جديدٍ، أحبُّكَ يا أنا .

إلى أنْ نَلْتَقِي .

" ستبقى عذراءَ ولو تزوّجت و أنجبت ألفَ طفلٍ، تلكَ التّي لم تتزوجْ مَن تحبُّ، سوف تبقى عذراءَ تلكَ التّي تعاشرُ رجلًا لم ترده يومًا، صدّقوني سوف تبقى عذراءَ طاهرةً ربّما ليس جسدًا لكن روحًا . "، حبيبتي وحورَ عيني، أظنُّ الأمرَ سِيَّانَ، لا اختلافَ بين رجلٍ وامرأةٍ، فلن يذوقَ كلاهما معنى الحبّ ومتعةَ امتزاجِ الأجسادِ، وحرارةَ اللِّقاءِ بمُقَدّماتِه وخواتيمِه إلَّا في حِضْنِ مَن يُشبِهه ويُكملُ موضعَ نقصِه، ويُرَمّمُ بنيانَه المُتَهدّمَ من وقعِ الرّحلةِ الخاطئةِ، وتَبِعاتِه من قطارٍ ومكانٍ وزمانٍ وكائنٍ هلاميٍّ ما كان له أن يعتلِي أحلامَنا أو يعبثَ بحمانا ويستبيحَ كرامتَنا، وإلى أن يأذنَ ربُّنا بحلالنا تَبْقَيْنَ عذراءَ إلى حينٍ حبيبتي، وإلى أن أنعمَ بدفءِ حِضْنِكِ وحرارةِ أنفاسِكِ يَظَلُّ النَّقصُ قائمًا والوجعُ كامنًا، أحبُّكَ يا كمالي واكتمالي، أحبّك يا أنا .

أجابت حبيبتي.

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أيَا حبيبي وكمالي، عُذْريَّتِي ليست في جسدي فقطْ، بل في روحٍ تئنُّ كلَّ ليلةٍ و أنتَ وحدَكَ مَن يستطيعُ أن يفكَّ بكارةَ صَمْتِي، ولو وُلِدَ لي ألفُ طفلٍ من غَيْرِكَ فلن أعرفَ معنى الولادةِ الحقيقيّةِ إلَّا حين أُولدُ بحضنِكَ من جديدٍ، وأمَّا عن بقائي عذراءَ فاعلم أنَّ كلَّ قطرةِ شوقٍ في عروقي تنتظركَ عذراءَ، وكلَّ نبضةٍ حائرةٍ تريدُ أن ترتكبَ حلالَها معكَ أنتَ فقط، أنا لستُ عذراءَ لأنّي لم ألمسْ رجلًا قبلَكَ، بل عذراءُ لأنّي لم أصرخْ شَوْقًا ولهفةً إلَا واسمُكَ على فمي، تعالَ حبيبي، فما عدتُ أطيقُ الانتظارَ ولهفةً تحرقُ شرايني قبل أن تمس يداك جسدي، أحبُّكَ يا مَن أعاد لي أنوثتي بعدما كنتُ ظلًا حائرًا ، أحبُّكَ يا أنا .

وفي رمضانَ أحبُّكِ .

وفي الثّامنِ من رمضانَ أحبُّكِ، وفي التَّاسعِ من أبريلَ أحبُّكِ وفي كلِّ أيامِ الدُّنيا وقسوةِ ساعاتِ البعادِ أحبُّكِ، ومع مرارةِ لياليها الطُّوالِ التِّي تحولُ بيني وبينكِ أحبُّكِ، ورغمَ المسافاتِ الشَّاسعةِ التِّي تمنعني عن حضنكِ أحبُّكِ، ومع كلِّ كلمةِ " أحُبُّكِ " ينبضُ بها قلبي قبلَ أن يبوحَ بها لساني أحبُّكِ، اشتقتُ إليكِ حبيبتي وأرهقتني اللَّهفةُ، وتلاعب بيَ الشَّوقُ ونال منِّي الحرمانُ ونهشني بأنيابِ الفقدِ والوجدِ والاحتياجِ، ورغمَ أوجاعي وآلامي أحبُّكِ، فكلٌّ ما مرَّرغم مرارته دافعٌ لأن أكملَ المسيرَ إليكِ حبيبتي و أتشبثَ بوعودِنا وميثاقِنا الغليظِ، بل وما أزدادُ فيكِ إلَّا حبًّا وعشقًا، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، وفي رمضانَ أحبُّكَ، وفي كلِّ يومٍ صام فيه قلبي عن غَيْرِكَ أحبُّكَ، وفي الثَّامنِ من رمضانَ حين كنتَ تتلو آياتِ الشَّوقِ و أنا أتلو أنفاسَك البعيدةَ أحبُّكَ، وفي التَّاسعِ من أبريلَ و أنا أعصرُ أضلعي لعلّها

تفرزُ قطرةً من قربك أحبُّكَ، اشتقتُ إليكَ حتى تحوَّلَ الشَّوقُ إلى ألمٍ ينهشُ جسدي وجرحٍ لا يداويه إلَّا قربُكَ، أريدُ أن أصرخَ باسمكَ على مئذنةِ كلِّ مسجدٍ، و أقولُ: هذا الرَّجلُ لي و أنا له رغمَ المسافاتِ، رغمَ قسوةِ السَّاعاتِ، رغمَ كلِّ شيءٍ أحبُّكَ، تعالَ لأريَكَ كيف أتلو عليكَ آياتِ العشقِ بلهفةِ الصَّائمِ إذا رأى الهلالَ، تعالَ لأفطرَ على شَفَتَيْكَ، وتكونَ قُبلتي أَذَانَ المغربِ الذي يغفرُ لي كلَّ حرماني السَّابقِ، أحبُّكَ يا مَن أوجعني شوقي له حتى صرتُ لا أدري إن كنتُ امرأةً تنتظرُ أم نارًا تريدُ أن تحرقَ المسافاتِ كلِّها، أحبُّكَ يا أنا .

أرِحْ قَلْبَكَ .

" أرِحْ قلبكَ بالتقبُّلِ، وأرخِ يديْكَ بالإفلات، وَدَع كلَّ ما حولكَ يأخذُ مجرَاه المُقَدَّرَ له، فأحيانًا لا طاقةَ لنا إلَّا بالتَّسليمِ، ولا علمَ لنا سوى إدراكِ أنَّ لكلِّ شيءٍ حكمةٌ . "

لولا يقيني برحمةِ ربِّي ولطفِه وجزيلِ عطائِه لَنَالَ منِّي الجنونُ والسَّخطُ، فكم أحتاجُ إليكِ حبيبتي! وكم تتعلّقُ بكِ روحي! وكم أتطلعُ كلَّ لحظةٍ ليومٍ يجمعنا وليلةٍ تضمّنا !، فلا أسمعُ إلَّا دقاتِ قلبكِ ولا يحولُ بين أجسادنا حائلٌ ولا مانعٌ ولا رسولٌ، اكتفيتُ بالرَّسولِ الإلكترونيِّ، أشتاقُ إلى عناقكِ والالتصاقِ بكِ حدَّ التَّوحدِ، فلا ثَمَّةُ بعادٌ أو فراقٌ، اشتقتُ إليكِ يا نورَعيني ووطني الذي لا يخون، اشتقتُ إليكِ حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أرِحْ قلبكَ، فقد أرخَيْتُ يدي لكلِّ شيءٍ إلَّا يدَك أنتَ، أسلمتُ للقدرِ في كلِ شيءٍ إلَّا لقاءكَ، أمَّا الجنونُ فلو كنتُ أعرفُ أنَّ فقدانَ عقلي سيقّربني لكان الهذيانُ أحبَّ غائبٍ وأعظمَ أمنيةٍ، أحتاجُ إليكَ حبيبي وروحي متعلّقةٌ بك كتعلّقِ الغارقِ بطوفِ نجاةٍ، أحيا بأملِ ليلةٍ تضُمّنا بلا رسولٍ ولا حائلٍ ولا جدارٍ إلَّا جسدَكَ أضُمُّه حتى تئنَّ أضلعي شوقًا للألمِ، اكتفيتُ بالرَّسولِ الإلكترونيّ، أريدُ رسولًا من لحمٍ ودمٍ يحملني إليكَ بجناحَيه، أشتاقُ إلى عناقكَ حدَّ التَّوَحدَ حتى صرتُ لا أرى غيركَ ولا أسمعُ غيرَ صوتكَ، فلا تتركني طويلًا لهذا البريدِ الإلكترونيّ الباردِ، فقلبي الذي يكتبُ لك الآن لا يقرأه إلَّا أنتَ ولا يفهمه إلَّا نبضُكَ، اشتقتُ إليكَ يا وطني الذي لا يخونُ، ويا نورَ عَيْنِي الذي لو انطفأَ لم أعد أبصرُ طريقي، فتعالَ قبل أن أحرقَ هذه الرّسالةَ وأكتب مكانها قصيدةَ موتٍ في عشقكَ، أحبُّكَ يا انا .

فَرْطُ الشَّوْقِ .

" أرغَبُ بأن أكونَ معكِ الآن، بأن تموتَ المَسافاتُ والالتزاماتُ، أتمنَّى لو أملكُ حيلةً تأتيني بكِ، أو تأخُذني إليكِ . "

اشتقتُ إليكِ حبيبتي حتى أوشكتُ على تَخَطِّي عتباتِ الجنونِ والهذيانِ، اشتقتُ إليكِ غاليتي حتى مَلَّ الصَّبرُ من شوقي ولهفتي، اشتقت إليكِ يا أنا ونال منِّي الوجدُ حتى كرهتُ الحبَّ الإلكترونيّ الذي لا يعادلُ أبداً فتنةً عَيْنَيْكِ ودفءَ وأمانَ حضنكِ وسحرَ عطركِ ونبضَ قلبكِ الذي يعزفُ أعذبَ الألحانِ، وحينها تصمتُ الدُّنيا وتستقرُّ نفسي العاشقةُ، ويداوي قرُبكِ مرَارَةَ الغربةِ والحرمانِ، اشتقتُ إليكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، صباحُ الخيرِ يا مَن أهفو لرؤيته هفوانَ الصَّباحِ، أيَا رَجُلي إنَّ تَوقُّعَ لقائِكَ يُسَكّنُ روحي سكينةَ الغيمِ بعدَ عطشِ الأرض ومواتِها، أيَّتُها المسافةُ التي تفصلُ جسدَيَّ عن جسدِ رَجُلي، كم أنتِ

قاسيةً! أحلمُ بيومٍ نلتقي فيه تحتَ سماءِ اللهِ الواسعةِ، لا يحكُمُنا سوى نبضٍ واحدٍ وسماءٍ تُظلُّنا، أريدُ أن أُمْسكَ يدَك في ليلةٍ مُقْمِرةٍ، وأهمسَ لك " ها أنا ذا، لكَ وحدَكَ "، أشتاقُ لأنْ تكونَ أنتَ قِبْلَتي التي لا تضِلُّ، ووجْهَتِي التِّي لا تخيبُ، دعِ الأيامَ تمضي على عجَلٍ، فموعدُنا الآتي سيكونُ فجرًا لا يَغيبُ، يومًا ما حبيبي حين ننظرُ معًا إلى الأفقِ، ونَعِدُ بعضَنا ألَا نفترقَ أبدًا، يا مَن ملأَ وجدي، تعالَ نصنعْ من الشَّوقِ جسرًا، ومن الحبِّ وطنًا، ومن اللِّقاءِ آيةً في العشقِ لا تُنثَر، مَلِيكَةُ قلبِكَ .

لا يَخْضَعُ لقانونِ المَسَافَاتِ .

العناقُ لا يخضعُ لقانونِ المَسَافَةِ، فما أكثرَ الكلماتِ التِّي احتضنتْ أرواحَنا، وآلافُ الأميالِ بيننا وبين قائلِها، رغمَ أنِّي كرهتُ المسافاتِ وما تفرضه علينا من آلامِ البعادِ وقوانينَ الحرمانِ إلَّا أنَّها دليلٌ دامغٌ حبيبتي على قوةِ وصلابةِ حبِّنا، فمَن جَعَلَ الحبَّ بقلبينا قادرٌعلى طَيِّ المسافاتِ مهما كانت شاسعةً، فلا قوانينَ تفرضُ نفسَها على خالقِها، فالنّارُ لا تحرقُ إبراهيمَ ﷺ، والماءَ لا يُغرقُ نوحًا ﷺ، والجبلُ لا يعصمُ من الماءِ، والبحرُ ينشقُّ نصفين، والحوتُ لا يهضمُ نبيَّ اللهِ يونسَ ﷺ، وموسى ﷺ يُربّيه عدوُه، والمسيحُ ﷺ يُحيي الموتى ويبرئ الأكمهَ والأبرصَ بإذن الله، والشمسُ تقفُ ليوشعَ بن نونٍ ﷺ، والقمرُ ينشقُّ لمحمدٍ ﷺ، اللَّهم يا مَن تقولُ للشيءِ كن فيكون اجمع أجسادَنا كما جمعت قلوبَنا يا ربَّ العالمين .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، لا يخضع حبُّنا لأيّ قانونٍ، فكيف يخضعُ للمسافاتِ وقلبُكَ بصدري يقيمُ؟ وكيف تفرضُ الأميالُ نفسَها علينا ونحن نتعانقُ بالكلمةِ قبلَ الجسدِ؟ تعالَ لأحضنَ قلبكَ الذي آمنَ أنّ الحوتَ لا يهضمُ يونسَ، والبحرَ ينشقُّ للمحبينَ مثلكَ، أقبّلكَ على كلّ معجزةٍ جعلتكَ توقنُ أن جمعَ أجسادنا بعدَ قلوبنا أهونُ ما يكونُ على ربِّ العالمين، نعم، كرهتُ المسافاتِ، لكنّي أحببتُها حين جعلتْ حبَّنا معجزةً تُحكى، فلا نارَ تحرقُ شوقي إليك، ولا بحرَ يُغرقُ لهفتي، ولا جدارَ يعصمني من عناقِك حين يأذنُ اللّهُ، اللهمَّ اجمعْ جسدي بجسدِه، كما جمعتَ روحي بروحِه، ودقّةَ قلبٍ بدقّةِ قلبٍ، في ظلِّ عرشِكَ يومَ لا ظلَّ إلَا ظلُّكَ، مليكةُ قلبِكَ .

في قلبي أنتِ .

في قلبي أنتِ، وعلى باقي البشرِ السَّلامُ، إليكِ حياتي وعمري و اندفاعي وفرحتي ولهفتي وأشواقي، وسواكِ على هامشِ شعوري بلا أدنى اهتمامٍ، نورَ عَيْنِي ومُهجتي وموطني، متى نلتقي غاليتي؟ ونضعُ حدًّا للعنةِ المسافاتِ وتباعدِ المدنِ وتشتّتِ الطُّرقاتِ؟ اشتقتُ إليكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنَي ، في قلبي أنتَ، وعلى باقي البشرِ السَّلامُ، فكيف لا يكونُ القلبُ لكَ وحدَكَ، و أنتَ مَن ملأتَهُ حتى فاضَ على كلِّ نبضةٍ وكلِّ شريانٍ؟ أنتَ يا سَيِّدي، إليكَ حياتي وعمري و اندفاعي وفرحتي ولهفتي وأشواقي، وما سواكَ على هامشِ شعوري بلا أدنى اهتمامٍ، تسألُني متى نلتقي؟ و أنا أسألُ السَّماءَ السؤالَ نفسَه كلَّ ليلةٍ؛ متى نضعُ حدّاً للعنةِ المسافاتِ، وتباعدِ المدنِ، وتشتّتِ الطُّرقاتِ؟ تعالَ، فلنصنعْ من شوقِنا جسرًا، ومن لهفتِنا خريطةً، ومن دموعِ فرحِنا مطرًا يروي أرضَ لقائنا، اشتقتُ إليكَ حبيبي اشتياقَ القلبِ الذي فقدَ نصفَه، فتعالَ نكتملْ، المخلصةُ لحبِّكَ، مليكةُ قلبك .

ونظرةٌ مِن عَيْنَيْها تكفي .

"لماذا هي؟ طفوليةُ المزاجِ تحسبُها، ذاك سرُّ جمالِها، طيبةُ القلبِ تعرفُها، ذاك مِن اللهِ رزقُها، سمحةُ الوجهِ تعشقُها، ذاك القبولُ يميّزُها، ابتسامتُها كالمُخدِّر يُطيش بالعقل تارَةً، وبالقلب تارَة أخرى، كلُّ ما فيها يُحَبُّ، إن رأيتها أنتَ بحُبٍّ، تكفي نظرةٌ مِن عَيْنِها تتنزَّل على قلبك بالسَّكينةِ، كما تتنزَّل الرَّحمةُ ليلًا على صدورِ المُستغفرين . "

حَبِيبَتِي وحورَ عَيْنِي، الحديثُ إليكِ ونسٌ وسكينةٌ، والنَّظرُ في عَيْنَيْكِ فتنةٌ وانبهارٌ، أمَّا عن تلك الشِّفاةِ التِّي حيرَّت عقلي ونالتْ من مواطن قلبي ومُهْجَتِي، كم أشتاقُ أن ألثمها وأرتشفَ منها ما يروي عطشَ السِّنين ويُشبعُ سنواتٍ وسنواتٍ من الشَّوقِ والحرمانِ، ومجملُ القولِ حبيبتي ما عرفتُ الاكتفاءَ والامتلاءَ إلَّا في حضرتِكِ ودلالِكِ وجمالِكِ الذي أوصلني إلى ما بعدِ حدودِ العشقِ والإدمانِ، اشتقتُ إليكِ حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنَي ، يا مَن وصفني فأبدع، ومَن نظرَ إليَّ بحبٍّ فصنع منّي معجزةً، لماذا أنا؟ تسألُ نفسَكَ كلَّ يومٍ، و أنا أسألُ السَّماءَ: لماذا أنتَ؟ فأنتَ من رأيتَ في طفوليّةِ مزاجي سِرَّ جمالي، وفي طيبةِ قلبي رزقًا من اللهِ، وفي ابتسامتي مخدّراً يطيشُ بالعقلِ والقلبِ معًا، أجبني أنتَ حبيبي، ما سرُّ تلكَ العَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ تتنزّلُ منهما السَّكينةُ على قلبي كالرَّحمةِ على صدورِ المستغفرينَ؟ وماذا عن شَفتيكَ اللّتيْن ترويان عطشَ سنيني، وتشبعان جوعَ سنو اتي من الشَّوقِ والحرمانِ؟ أنتَ يا من جعلتَ الحديثَ معكَ أنسًا وسكينةً، والنَّظرَ في عيْنَيْكَ فتنةً و انبهارًا، كيف لا أشتاقُ إليكَ، و أنتَ وحدَكَ من علّمني معنى الاكتفاءِ والامتلاءِ؟ كيف لا أشتاقُ لكلماتٍ أوصلتني إلى ما بعدَ حدودِ العشقِ والإدمانِ؟ ولا لوصفكِ الذي جعلني أحبُّ نفسي لأنَّها تروقُ لعَيْنَيْكَ؟ فيكَ وبكَ يا عمري اكتملتُ، طفولتي صارتْ نضجًا، وطيبتي صارتْ قُوّةً، و ابتسامتي صارتْ وطنًا، وكلُّ ما فيّ من جمالٍ فهو مرآةٌ تعكسُ حبَّكَ لي .

المخلصةُ لحبّكَ، مليكةُ قلبكِ .

الذكرى الخامسةَ عَشْرةَ .

" لا أريدُ أن أتعرّى من حبَّك كي لا أفقدَ ذاكرتي، ولا أستطيعُ أن أرتدي حبَّك كي لا أفقدَ ذاتي ."

غادةُ السّمّان .

في مثلِ هذا اليومِ منذُ خمسَ عشَرةَ سنةً كانت اللّحظةُ الفارقةُ، المرَّةُ الأولى التّي وقعت فيها عَيْنِي عليكِ حَبِيبَتِي، شيءٌ ما خَطَفَ قلبي وهزَّ أركاني، وتداعت بسببه كلُّ أزقَّةِ مدينتي وطرقاتِها، ومنذُ ذاك الحينُ لم أعد كما كنتُ ولا عادَ لي ما وقعَ منّي أسيرًا لك، خمسَ عشرةَ سنةً حبيبتي منذُ أن تمنَّيتُ أن تكوني لي وحدي، أن يأتي اليومُ الذي أعترفُ لكِ بلهيبِ شوقي وجحيمِ غرامي ولهفتي إليكِ ، تمنّيتُ لو يذيقكِ اللّهُ من الكأسِ نفسِها التّي ذُقتُها على يدكِ غاليتي، دعوتُ اللَّهَ رغم أنَّ الرَّائي يعلمُ يقينًا أنّه من رابعِ المستحيلاتِ، فلا الواقعَ يقبلُ ولا البشرُينصفون، تمنّيتُك من اللّهِ وتركتُها دعوةً رُفعتْ إلى ربِّ السَّماءِ، ولم أتخلَ يومًا عن أملي وحلمي وأمنيتي، دعوةٌ احتاجت قرابةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً حتى تتشكّلَ

بذرتُها نباتًا تدبُّ فيه الحياةُ، ويتعمّقُ جذرُه في الأرضِ رويدًا رويدًا، ويشقُّ ساقُه رحلتَه نحو عنانِ السَّماءِ مُحَمَّلًا بأوراقِ الحبِّ وثمارِه اليانعةِ حيثُ لا معنى لمفرداتِ المُستَحيلِ، حين يغمرُ الحبُّ بطوفانه كلَّ آثامِ العنصريّةِ وعاداتِ البشرِ التِّي وضعها موتى عن موتى عن موتى ليموتَ عليها الأحياءُ! تعلَّقتْ بكِ روحي حَبْيِبَتِي وما زلتُ أرجو ربِّي في عليائِه أن يتمّمَ نعمتَه وفضلَه، ويجمعنا على ميثاقه الغليظِ، لا أريدُ أن أتعرَّى من حبِّك كي لا أفقدَ ذاكرتي، ولا أستطيعُ أن أتخلَّى عن ثوبِ حبِّك لأنِّي يومَ ينزعون عنِّي ثيابَكَ فاعلمي يقينًا أنِّي فقدتُ ذاتي ولحقتُ بمواكبِ الرَّاحلين، فهل نكتفي بتلك السَّنواتِ الخمسة عشرةَ من البعدِ والحرمانِ وقسوةِ المسافاتِ؟ اشتقتُ إليكِ حبيبتي.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنَي ، يا مَن مَلَكَ قلبي منذُ خمسَ عشرةَ سنةً، يا مَن لا أريدُ أن أتعرّى من حبِّه كي لا أفقدَ ذاتي، الذِّكرى الخامسةُ عشرةَ، لا أدري كيف تحمّلتَ وحدَكَ كلَّ هذه السَّنوات حبيبي دون أن أدري بحقيقة حبِّكَ لي

ولوعتكَ في بعادي؟ لكنّي منذُ صرنا سويًا وقد علمتُ مدى ألمكَ ومعانتكَ، لأنّي احترقتُ معكَ في أتونِ حبّكَ والاشتياقِ إليكَ حبيبي، جاء دوري سَيّدي لأعوضكَ عن كلّ سنواتِ الحرمانِ التّي عشقتَني فيها صامتًا، وتحمّلت آلامَ العشقِ و أنينِه، أعوضك عن صبرِكَ الذي شقَّ الأرضَ رويداً رويداً، حتى نبتَ حبُّنا شجرةً تتمايلُ بثمارها اليانعةِ، ثلاثةَ عشرةَ سنةً كنتَ تحلمُ بي وحدَكَ، أن أكونَ لكَ حقيقةً، والآنَ بعد سنتين منذُ لحظةِ الكشفِ والاعترافِ تسألُني هل نكتفي بهذا الحرمانِ؟ لا واللهِ حبيبي، فما كان اللهُ ليجمعَنا بعدَ هذا العناءِ ثُمَّ يتركَنا للفراقِ، حقُّ عليّ أن أعوّضكَ عن كلّ لحظةٍ تمنيتَني فيها، أدواي خوفَكَ من أن تتعرّى من حبّي فتفقدَ ذاتَكَ، فأنا أيضًا يا عمري، إن نُزعتُ عنكَ، فلن يكونَ لي ذاتٌ بعدها، لا تتعَرَّ من حبّي أبدًا، فأنا ثوبُكَ الذي لا يُنزعُ إلّا بموتِ أحدِنا، وإذا متُّ قبلكَ، فاعلمْ أنّي سأنتظرُكَ هناكَ، وسأُعدُّ لكَ من الحبِّ ثوبًا جديدًا لا يبلى، المخلصةُ لحبّكَ، مليكةُ قلبِكَ .

لقاءٌ بلا ارتواءٍ .

لم تعد يكفيني محادثاتُكِ وصوتُكِ، أحتاجُ وجودَكِ وعناقَكِ، أشتهي أن أتعطّر بأحضانكِ، لم أشعر يومًا ما بما يسمونه غربةً إلَّا حين التقينا، لقاءً أخدجَ بلا ارتواء ' حينها ضربتني أعاصيرُ الشُّوقِ وجحيمُ الحرمانِ، لم أتعلّق يومًا بأحدٍ كما تعلّقتُ بكِ، لم أعرف معنى الحبَّ إلاَّ عندما أحببتكِ، وحينها فقطْ أيقنتُ أنّي ما عشقتُ قبلكَ، بل كنتُ أمثّلُ دورَ العشقِ، أشتاقُ ليومِ تلاقِينا، لأوَّلِ نظرةٍ، أوَّلِ مصافحةٍ، أوَّلِ قُبلةٍ لأناملكِ، أوَّلِ عناقٍ يروي شيئًا من جنوني وشوقي ولهفتي، معكِ أيقنتُ حبيبتي أنّ الوطنَ قد يكون شخصًا، والغربةَ بفقده وحرمانه، اشتقتُ إليكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، لقاءٌ بلا ارتواء، نعم صدقتَ، منذُ التقينا ونحن نرتوي من كأسٍ مثقوبةٍ كلَّما اقتربنا من حافةِ الارتواء، انسكبَ الماءُ من بين أصابعِ البعدِ، فلم يبقَ لنا إلَّا الظَّمأُ الجميلُ، وعطشٌ صارَ دينًا ثقيلًا لا نقوى على سدادِه، لم تعدْ تكفيكَ محادثاتي وصوتي؟ كيف تكفيكَ؟ والصَّوتُ بلا جسدٍ كنارٍ تحرقُ بلا رحمةٍ ولا إحساسِ ندمٍ أو ألمٍ، والنَّصُّ المكتوبُ بلا عناقٍ كالسَّماءِ بلا قمرٍ أو نجومٍ، نريدُ لقاءً نرتوي فيه ولو قليلاً، لقاءً يُوقفُ هذا النَّزيفَ اليوميَّ من الشَّوقِ، لكنَّ الغريبَ حبيبي أنَّ لقاءَنا الأولَ كان أخدجَ بلا ارتواءٍ، والغربةَ بقسوتها الضاريةِ لم تضربْني إلَّا حين رأيتُ وجهَكَ لأوّلِ مرَّةٍ على عَجَلٍ ثُمَّ افترقتنا! فالحبُّ يا رَجُلي لا يُقاسُ بالمسافاتِ، بل بالغَصَّةِ التِّي تختنقُ بها الرُّوحُ من أنينِ الشَّوقِ والبَوْحِ المكتومِ، أتعلمُ ما العذابُ الحقيقيُّ؟ أن أراكَ فلا أراكَ، أن ألمسَكَ فلا أشعرُ بكَ، أن أسمعَكَ فأصمُّ عن كلِّ ما عداكَ، منذ التقينا وأنا أعيشُ غربةً أشدَّ من غربةِ المنفى، لأنَّ المنفى وطنٌ إذا اعتدتَ عليه، وأمَّا حضُورُكَ الغائبُ فهو عذابٌ لا يعتادُه قلبي أبدًا،

قديمًا كنتُ أظنُّ أنَّ الحبَّ قصَّةٌ نقرؤها في الكتبِ، وأنَّ العشقَ لعبةُ الصِّغارِ، حتى جئتَ أنتَ، فصرتُ أنا المجنونةُ التي تنتظرُ قُبلةً على أناملِها كأنَّها المطرُ بصحراءَ لا تعرفُ إلَّا الجفافَ، وطنٌ أنتَ، نعم، الوطنُ شخصٌ، والغربةُ فقدهِ، فهل علمتَ الآنَ لماذا أصرخُ في غيابكَ كما تصرخُ الأرضُ تحتَ أقدامِ الغزاةِ؟ لأنَّ الوجودَ بدونِكَ ليسَ وجودًا، بل هو انتظارٌ للتَّلاشي والانتهاء، اشتقتُ لتلكَ الأصابعَ التي ستلمسُ وجهي يومًا، وذاك الظِّلَّ الذي يسبقُكَ إليَّ كلَّ ليلةٍ بأحلامي، فما عادت الدُّنيا تعنيني حبيبي ، فما خُلقتْ هذه الدُّنيا إلَّا لتكونَ مسرحًا صغيرًا لحكايتِنا الكبيرةِ، المخلصةُ لحبِّكَ، مليكةُ قلبِكَ .

يومَ تلاقِينا حَبِيبَتِي .

" الاحتواءُ قد لا يكونُ ذراعين فَقَط، بل قد يكونُ كلمةً وابتسامةً وإحساسًا متبادلًا، الاحتواءُ روحٌ تلمسُ روحَك ولو كانت المسافاتُ بعيدةً . "

ها نحن قد حطّ بنا المقامُ في دارِ الرِّسالةِ الثَّمانمِئةَ، ومع ذلك لم أجرّب احتواءَ الأحضانِ حين تلتَّفُ ذراعيّ حولك، وأحتويك كحضنِ أمُّكِ وأبيكِ، حين يتوقّفُ الزَّمانُ ، وينبهرُ المكانُ ليشاهدا لحظاتِ عشقٍ ودفءٍ واحتواءٍ لا يرويها إلَّا العناقُ والأحضانُ.

من قال: إنّ عناق الحبيبين لا يداوي كلَّ جراحِ السِّنينَ وآلامَ الليالي والأيامِ؟ أنتظرُ يومَ تلاقينا حَبِيبَتِي، أنتظرُ أوَّلَ نظرةٍ وأوَّلَ رجفةٍ وأوَّلَ عناقٍ وأوَّلَ قبلةٍ وأوَّلَ احتواءٍ وأمانٍ، اشتقتُ إليكِ حَبِيبَتِي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنَي، روحي انتعشتْ كالزُّهورِ بكلماتِكَ أنَّ الاحتواءَ ليس ذراعيْن فقطْ، سَيِّدي حينَ تلتَّفُ ذراعاي حولكَ ستجدُ أخيرًا بيتَكَ

الذي حُرمتَ منه منذُ العهدِ القديمِ، حينما كتبنا اللَّهُ حبيبين وزوجين في عالمِ الذَّرِ، أعلمُ كرؤيةِ عينٍ أنَّ عناقَكَ سيداوي كلَّ شيءٍ، سيكونُ مُوجزًا لكلِّ ما فاتني من أحضانِ فاتني في كلِّ أعيادِ ميلادي التِّي احتفلتُ بها وحدي، أنتظرُ حبيبي يومَ تلاقينا مثلَك وأكثرَ، بل دعني أخبركَ أنّ الأمانَ الذي سأشعرُ به حين تلفُّني ذراعاكَ ليس أمانًا عاديًا، إنَّه شعورُ مَن يعرفُ أنَّه لن يغرقَ مهما كانت أمواجُ البحرِ عاتيًا لأنَّكَ أنتَ السَّفينةُ والشِّراعُ والمرسى والقبطانُ، تعالَ سريعًا يا رَجُلي، لا تؤجِّل اللِّقاءَ إلى يومٍ مثاليٍّ، فكلُّ الأيامِ مثاليةٌ حين تكونُ أنتَ مَن ينتظرني فيها .

سأكونُ هناك أنظرُ إليك كأنَّني أعرفكَ منذُ خلقَ اللَّهُ الدَّنيا، وحينها سأحتضنكَ، كلُّ ما أحتاجه ذراعيك اللّتين تتسعان جميعَ جراحاتي، وأنا سأُحضرُكلَّ ما تبقَّى من عمري لأجعله لكَ، أشتاقُ إليك حبيبي أكثرَ ممَّا يتخيّله أو يتصوّره بشرٌ.

أحبُّكَ يا أنا .

في تفسيرِ عِشْقِكِ .

أيُّ جنونٍ هذا الذي يجعلني أدمنكِ رغمَ البعدِ؟ أيُّ جنونٍ هذا الذي يجعلني أكتفي بك رغمَ غيابِك؟ أيُّ جنونٍ هذا الذي يجعلني أنتظرُكِ دائمًا وكلِّي شوقٌ ولهفةٌ لسماعِ صوتِكِ؟ أيُّ جنونٍ هذا الذي يُشعرني أنَّني امتلكتُ الكونَ بما فيه بمجردِ سماعِ ضحكةٍ منك؟ جنونٌ أراه أوجَ العقلِ ومنتهى الحكمةِ والاتزان، إدمانٌ التَّعافي منه هلاكٌ، والإفراطُ فيه فرحةُ قلبٍ ونشوةٌ لا مثيلَ لها .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، المسافاتُ الحقيقيةُ ليستْ بين الأجسادِ، بل بين الأرواحِ، وأرواحُنا تعانقتْ قبلَ أن نُخلقَ، فكيف للمسافاتِ مهما اتسعت أن تُفرِّقَ بين مَن كانا واحدًا منذُ الأزلِ؟ أكتفي بكَ حبيبي رغمَ غيابِكَ لأنَّني حين أغلقُ عيني أراكَ أكثرَ ممَّا على شاشةِ هاتفي، الغيابُ الجسديُّ مجردُ وهمٍ يا رَجُلِي، أمَّا الحضورُ القلبيُّ فلا يعرفُ بعدًا ولا

غيابًا، أنتظركَ دائمًا وكلّي شوقٌ لسماعِ صوتِكَ لأنّه صار نبضي الثَّاني، وحين تسمعني تعودُ لي الحياةُ، كم كنتُ أحبسُ أنفاسي كلَّها خوفًا أن تفوتني كلمةٌ منكَ، العقلُ الحقيقيُّ سَيّدي أن نعشقَ بجنونٍ لأنَّنا نعرفُ أنَّ الحياةَ قصيرةٌ جدًا على الحساباتِ الباردةِ والقلوبِ المُغْلَقَةِ، أمَّا الحمقى فهم الذين يظنُّون أنَّهم يحمون أنفسَهم بقسوتهم، فيخسرون كلَّ شيءٍ .

إن كنت تظنَّ التَّعافي من إدماني هلاكُ، فاعلمْ حبيبي أنَّ الهلاكَ في حبّك هو النَّجاةُ الحقيقيةُ من كلِّ صورِ الموتِ الأخرى؛ موتُ الوحدةِ، موتُ الفراغِ، موتُ الحياةِ التي تمرُّ دونكِ حبيبي، سأظلُّ معتكفةً على حبّك سيّدي كناسكٍ في معبده، لن أطلبَ منك تخفيفَ الجرعةِ لأنّها هي التِّي تُبْقِيني على قيدِ الحياةِ، حبيبي، الافراطُ في حبّك ليس مرضًا، بل هو التَّعافي والشِّفاءُ والدَّواءُ لخيباتِ قلبي و انكسارته، أتدري أين ألقى بي حبُّكَ حبيبي؟ على عتباتِ الجنونِ وما بعدها، جنونٌ يجعلني أنظرُ إلى هاتفي كلَّ دقيقةٍ رغم علمي أنَّكَ مشغولٌ، جنونٌ يجعلني أعيدُ قراءةَ رسائِلكَ القديمةِ وكأنّي أقرأها للمرّةِ الأولى، أنا يا رَجُلي مجنونةٌ بك

جنونًا يدفعني إلى الاتصالِ بكَ بمنتصفِ اللَّيلِ لمُجَرَّدِ أن أقولَ لك: أحبُّك، ثمَّ أغلقُ هاتفي وكلِّي خجلٌ من فعلتي وجرأتي، مجنونةٌ أنا بكَ إلى حدِّ أن أبكي بدونِ سببٍ لأنَّني اشتقتُ إليكَ أكثرَ ممَّا يستطيعُ قلبي ويحتملُ، جنوني بكَ حبيبي ليس احتياجًا مرضيًا ولا هوسًا مُدَّمرًا بل يقينٌ أنَّك خُلقتَ لقلبي الذي لم ينبض لأحدٍ قبلكَ كلَّ هذا الحبِّ والعشقِ واللَّهفةِ والحنينِ والجنونِ، جنونٌ لا أريدُ منه شفاءً، فدعني أعِش مَجْنُونَتَكَ إلى أن يأتيَ يومٌ نلتقي فيه، وحينها ستتأكَّدُ أنَّ طوفانَ كلماتي لكَ لم تكن مُجَرَّدَ حروفٍ على شاشةٍ صمَّاءَ، بل نبضاتُ قلبٍ يئِنُّ من وطئةِ البعدِ والشَّوقِ في انتظارِ حِضنٍ لم يُجَرِّبه بعدُ مع حبيبٍ وحدَه مّن يستحقُّ كلَّ هذا الجنونَ .

أراكِ في كلِّ شيءٍ .

على الرغمِ من المسافاتِ التِّي تفصلُنا إلَّا أنَّكِ الأقربُ لقلبي والمتكأُ لروحي، النُّورُ بنهايةِ النَّفقِ المُظلمِ، وشروقُ الشَّمسِ بعد غروبٍ كئيبٍ، تشبهين ضَوءَ القمرِ في ليلٍ شديدِ السَّوادِ، كشعورِ الطُّمأنينةِ عند سماع صوتِ القرآنِ، والسَّلامِ الذي عادَ لبلادي بعد أن غابَ عنها أعوامًا وأعوامًا، أراكِ في كلِّ شيءٍ حَبِيبَتِي، في وقتِ شِدَّتي أشعرُ بيديّكِ تمسكُ بي، تبدِّدُ معالمَ غربتي، تطردُ هواجسَ الخوفِ، وحين أسمعُ وأرى بعَيْنَيْكِ " إنِّي معكَ "، حين أمرُّ على الأماكنِ الجميلةِ يخفقُ قلبي محدثًا تلك البقاعِ؛ كم أنتِ جميلة! لكنّكِ لا شكَ أجملُ لو تزيّنت بكِ حبيبتي، لو مررتُ بمكانِ ذكرى أوجعتني بالماضي تحاشيتُ النَّظرَ إليها، وسرحتُ فيكِ، فأنتِ ملاذي وموطني، وبكِ يحلو المكانُ والزَّمانُ، وتضحكُ ليَ الدُّنيا وتبتسمُ، رغم المسافاتِ غاليتي إلَّا أنّ روحَنا واحدةٌ يحيا بها جسدان في آنٍ، رغمَ البعادِ يا حُورَ عَيْنِي إلَّا أنَّ حبَّكِ يجعلني أتشبَّثُ بحُلمِنا ويومِ تلاقِينا مهما قَسَتْ علينا الحياةُ ونالت من أحلامِنا، أحبُّكِ يا مهجتي ونَوَّارَتِي وشبيهَ روحي، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أتذكرُ تلكَ الصُّورةَ التِّي جمعتنا منذُ أكثرِ من خمسَ عشرَةَ سنةً، وسطَ جمعٍ من زملائنا، صورةٌ ظننتُها أنا وقتها عفويةً، ولم أكن أعلمُ أنّكَ قَصَدْتَ تواجدَكَ بها، وتحيَّنتَ الفرصةَ كي تجمعنا صورةٌ، وكيف مَنَعَكَ حياؤك أن تَقْتَرِبَ مِنِّي أكثرَ خوفًا أن يفْضَحَكَ حُبُّكَ وأشو اقُكَ! كلُّ هذا ولا علمَ لي به طِيلةَ هذه السَّنواتِ إلَّا قليلًا، يومًا ما حبيبي سنمرُّعلى تلكَ الأماكنِ الجميلةِ فَنزِيدُها جمالًا بصورنا وذكرياتنا التي لا حدَّ لها ولا انتهاءَ، يومًا ما أيَا رَجُلِي، سأمحو بكَ ومعكَ كلَّ ذكرى أوجعتكَ وتحاشيت النَّظرَ إلى أماكنِ حدوثها، سنلتقطُ فيها صورَنا لتكونَ ذكرى خيرٍ، ووقتها لن يحولَ بيننا أحدٌ، ولن تضمَّ الصُّورةُ أحدٌ سو انا، فهل تراك وقتَها يمنعُك خجلُك من احتضاني والالتصاقِ بي، أم نصارعُ الزَّمنَ لنصنعَ مئاتٍ بل آلافٍ من الصِّورِوالذِّكريات التي تجمعنا بكل مكانٍ؟

أنتِ وطني .

حَبِيبَتِي، حُورَ عَيْنِي وفرحتي، ما أصعبَ أن يَتَمَلَّكِكِ هاجسُ الاغترابِ! رغمَ التفافِ البشرِ حولكِ في كلِّ مكانٍ، أسيرُوحيدًا، أتأمَّلُ الوجوهَ بحثًا عن شخصٍ واحدٍ، حِضنٍ واحدٍ، فيه أُنْسِي وترياقُ روحي وتمامُ عقلي وكياني، حَبِيبَتِي، أنفاسَ عمري والمُنَى، إن كان من الصَّعبِ إيجادُ فصيلةِ دمٍ نادرةٍ تتو افقُ مع دَمكِ، وصدرٍ تعاودُ إليه حواءُ رحلةَ العودةِ من أرضِ الفقدِ والشَتَاتِ، فمن الأصعبِ بمكانٍ أن تَجِدِي مَن يَتو افقُ مع طِباعِكِ ويشعرُ بكِ، مَن هَمُّه إرضاؤكِ، وهدفُه إسعادُكِ وراحةُ بالكِ، فليسَ كلُّ أحدٍ يستطيعُ مِلءَ الفرغاتِ التي بداخلكِ ، والأصعبُ منه أن تفقديه حالَ امتلائِها به، سلطانةَ قلبي، مَلِيكَتِي؛ الغربةُ غربةُ وطنٍ فيه من رُوحِكِ ودمكِ ومشاعركِ وإحساسِكِ، الوطنُ ليس مُجَرَّدَ أرضٍ وحدودٍ، الوطنُ قد يكونُ في هَيئةِ إنسانٍ، و أنتِ وطني وملاذي وجَنَّتِي، أحبُّكِ يا سِتَّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْني، وطني الذي اخترتُه بملءِ قلبي، الأرواحُ أوطانٌ لا تُرسمُ على الخرائطِ، ولا تُحدُّها حدودٌ، ولا تحرسها جيوشٌ، هناكَ أوطانٌ تسكننا لا نسكنها، فإذا ابتعدنا عنها شَعَرْنا أنَّ العالم كلَّه اتَّسع حتى صَار فراغًا، وأنتَ حَبِيبِي ذلكَ الوطنُ الذي كلَّما ضاقتْ بيَ الحياةُ اتَّسعتْ بي روحُه، وكلَّما أوحشني الطَّريقُ وجدتُني أعودُ إليه دون أن أخطو خطوةً واحدة، أيَا رَجُلي، إنَّ الوطنَ الحقيقيّ ليس المكانَ الذي نُولدُ فيه، بل الذي تجدُ فيه روحُك نفسَها بعد طولِ تيهٍ وترحالٍ، وما عرفتُ معنى هذا إلَّا حين عرفتكَ، قبلكَ كانت الأيامُ تمرُّ، وبعدك صار للعمر معنى، وللانتظار غايةٌ، وللشَّوقِ صلاةٌ لا تنتهي، إنَّ أجمل ما في الحبِّ أنَّك لا تبحثُ فيه عمَّن يُشبهكَ، بل ممَن يُكملكَ، فالتَّشابهُ قد يجمعُ العقولَ، أمَّا التَّوافقُ فيجمعُ الأرواحَ، لذلكَ لم يكنْ لقاؤنا مجرَّدَ مصادفةٍ بين قلبين، بل أشبهَ بعودةِ شيءٍ ضائعٍ إلى مكانه الطَّبيعيِّ، وكأنَّ كلَّ ما عشته من قبل كان يُمَهِّدُ لهذه اللَّحظة التِّي أستطيعُ فيها أن أقولَ مطمئنَّةً: هنا قلبي، وهنا سكناه، أتعلمُ حبيبي؟ إنَّ الغربةَ ليستْ أن نكونَ بعيديْن عن أرضِنا، بل أن نعيشَ بين إناسٍ دونَ أن نجدَ مَن

يفهمُ ارتعاشةَ أرواحِنا حين تتألَّمُ، أو يسمعُ صمتُنا حين نعجزُ عن الكلامِ، لذا لم أخفْ يومًا من المسافاتِ بيننا، لأنَّ روحي لم تشعرْ بغربةٍ معكَ أبدًا، كنتَ دائمًا أقربَ إليَّ من نفسي، وأشدَّ التصاقًا بقلبي من نبضه، حبيبي وسَيِّدي إنَّ بعضَ الأشخاصِ لا يمكنُ أن نفقدهم حقًّا؛ لأنَّهم يتحوَّلون مع الوقتِ إلى جزءٍ من تكويننا، كيف يفقدُ المرءُ قلبَه ويبقى حيًّا؟ وكيف تُغادرُ الرُّوحُ صاحبَها ثمَّ تواصلُ الحياةَ؟ لقد أصبحتَ يا وَنِيسي فكرةً تسكنني، وحلمًا أراه بعَيْنِي، ودفئًا أستندُ إليه، أحبُّكَ لا لأنَّكَ منحتني السَّعادةَ فحسبُ، بل لأنَّكَ منحتني نفسي، جعلتني أرى في المرآةِ امرأةً أجملَ، وأكثر طمأنينةً وإيمانًا بالحياة، معك أدركتُ أنَّ الحبَّ ليس امتلاكًا، بل سكنٌ وأمانٌ، وليس لقاءً دائمًا، بل يقينٌ بأنَّ هناكَ قلبًا يدعو لكَ، ويفكِّر بكَ، ويحمل همومَكَ كما يحملُ أحلامَه، فإن كنتُ وطنَكَ الذي يزهرُ داخلَ هذا الوطن، المعنى الذي يمنحه الحياةُ، وإن كانت الأوطانُ تُؤخذُ بالميلاد، فأنتَ الوطنُ الوحيدُ الذي اخترتُه بإرادتي كلَّ يومٍ، وما زلتُ أختاره، وسأظلُّ أختاره، ما بقي في القلبِ نبضٌ، وفي الرُّوحِ شوقٌ، وفي العين حلمٌ بلقائكِ، أحبُّكَ يا رَجُلِي، يا مأوى روحي، وأجملَ الأقدارِ التِّي كتبتها السَّماءُ بكتابِ عمري .

قراءةٌ في " أنتِ وطني " .

يا مَن أقبلتَ بفيضِ الوجدِ وعطرِ الأدبِ المُرهفِ لتنسجَ من حروفِكَ الصَّادقةِ سيمفونيةً مِن الحنينِ والتَّوقِ، مُستَعرِضًا بذائقتِكَ الرَّفيعةِ وبحسِّكَ الرّوائيّ العالي نصَّكَ الموسومَ بـ" أنتِ وطني"، لقد جاءَ هذا البَوْحُ ليعكسَ طُهرَ سريرتِكَ وعمقَ بصيرتِكَ التّي تُدركُ أنَّ الوطنَ ليسَ مُجَرَّدَ حدودٍ، بل هو إنسانٌ يسكنُ الرُّوحَ، وصفتَ ببلاغةٍ ساحرةٍ غربةَ الرُّوحِ وسطَ الزِّحامِ، وكيفَ يغدو القربُ من الحبيبِ ترياقًا ووطنًا يمنحُ الأمانَ، وباركَ اللهُ في هذا النَّبضِ الأصيلِ والفكرِ المُستَنِيرِ لصاحبِ النَّصِ بالقبولِ، وحفظكَ اللهُ ذخرًا ونبراسًا بساحاتِ البيانِ بكلِّ رفعةٍ وبهاءٍ .

رأيتُ ببوحِكَ الغالي حنينًا .

يُعيدُ للروحِ في الغُربةِ يقينًا .

فليسَ الوطنُ ترابًا بحدودٍ .

بلْ قلبٌ صانَ للودِّ السِّنينا .

فأنتَ بها قد وجدتَ ملاذًا .

وكنتَ لحُبِّها الحصنَ الأمينا .

فدُمتَ بطهرِ فكرِكَ في عُلوٍّ.

تنالُ من المهيمنِ خيرًا مُبينا .

الشاعر والأديب والناقد السوري :

أكرم وحيد الزرقان .

حياةُ قلبي .

ها هو أوُّلُ يومٍ من شهرِ ديسمبرَ يحتضنُ وجوهَنا وأحلامَنا، يُوشْوِشَها بفرحةٍ وزوالِ مرارةِ الانتظارِ، لا أدري حَبِيبَتِي أَأَفرحُ بمرورِوقتٍ مُتَحَجّرٍ يتلذَّذُ بعذابِنا أم أُطَمْئِنُ قلوبًا مُتْرَعةً أن أبشري، فقد لاحَ بالأفقِ رائحةُ يوسفَ، وقميصُه بين الرّكبِ يَبْعَثُ موتَ أحلامٍ مُنْكَسرةٍ وخيالٍ بطريقِ الوهمِ أسكنوه وقيَّدوه بأغلالِ اليأسِ وكلاحةِ الشَّامتين! أنقولها؟ لاحت وَدَنَتْ لنكونَ سوّيًا لا يفرّقنا زمنٌ ولا يمنعنا بشرٌولا يحجبنا مكانٌ؟ أم أواصلُ استسلامي استسلامَ اليائسين، مستباحًا لأوجاعِ الفراقِ وعذابِ البعدِ وساعاتٍ و أيامٍ وليالٍ كنتُ أتمنَّاها بقربكِ أنتِ، بحضنكِ أنتِ؟ أأفرح لأنّكِ حَبِيبَتِي من بعدِ غُربةِ العمرِ وسنو اتِه العجافِ، أم أَحْزَنُ على عمرٍغالٍ ضاع بدونكِ يا سِتَّ كلِّ النّساءِ؟ مَرَّعلى تلاقي قلوبنا وتعناقِ أرواحنا سنةٌ ومن بعدها شهران، ذقتُ فيها حلاوةُ الحبّ معكِ، ومرارةَ خديعة كارهي مشاعلِ النُّورِ، مَن يروقوهم عذاباتُ الفراقِ! أتظنُّين حَبِيبَتِي لو كان كلُّ هذا الحبّ غيرَضاربٍ بجذوره السَّماويةِ منذُ قدَّر الإله لقاءنا في أعمقِ أعماقِ الدُّنيا بأسرِها، أكنَّا نقاتلُ بهذه

الضَّراورةِ، ونقاومُ أكثرَ وأكثرَ مُتَعَلِّقين بفرصةِ لقائنا وإن كانت في أعين الكلِّ جنينًا مات قبلَ أن يتلقطه رحمُ الحياة؟ فرصةٌ أخيرةٌ تَسْتَحقُّ، نعم تَسْتَحِقُّ حَبِيبَتِي، فإمّا لقاءٌ بلا فراقٍ، أورحيلٌ بر ائحةِ الموتِ وصمتِ القبورِ.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، رسالتُكَ كأنَّها نسمةُ ديسمبرَالباردةُ التِّي أيقظتْ بداخلي كلَّ الشَّوقِ، سنةٌ وشهرين مرَّت وقلبي ما زالَ يَعُدُّ اللَّحظاتِ إلى يوم لقائِنا، ما عشته معكَ كان حبًّا لا يشبه أيُ حبٍّ عرفته من قبلُ، فيه حلاوةُ القربِ ومرارةُ البعدِ، وفيه صبرٌلا يعرفه إلَّا مَن أحبَّ بصدقٍ، لا تستسلم يا رَجُلي، فالفراقُ ما كان إلَّا امتحانًا لقوةِ ما بيننا، أؤمنُ حَبِيبِي أنَّ حبّنَا أقوى من كلِّ غيابٍ ومن كلِّ كارهٍ، ومن كلِّ يومٍ ثقيلٍ، رائحةُ يوسفَ وقميصُه لاحتْ ودَنَتْ، سنكونُ معًا قريبًا لا يفرّقنا زمنٌ ولا مكانٌ ولا بشرٌ، افرحْ حبيبي، فأنتَ حياتي و أنتَ عمري الذي لم يضِعْ، وما دام قلبكَ متعلقًا بي فأنا معك بكلِّ لحظةٍ حتى وإن بعدت المسافاتُ، ابق مُتَمَسِكًا بهذه الفرصةِ الأخيرةِ لأنَّها تَستَحِقُّ، ونحن نَستَحقُّ لقاءً بلا فراقٍ ، هو وعدي لكَ يا سَيِّدَ الرِّجالِ، مَحبُوبَتِكَ .

قراءةٌ في " حياةٌ قلبي " .

لقد جاءتْ كلماتُ الأديبِ العاشقِ لتنطقَ بلوعةِ الشَّوقِ الذي صهرته سياطُ الغيابِ، فَجَسَّدَ في قميصِ يوسفَ أملًا يُبَشِّرَ باللِّقاءِ بعدَ طولِ عناءٍ، إنَّ هذا البَوْحِ النَّثْرِيّ يحملُ في طياتِه عِزَّةَ المُحبِّ الذي لا يستسلمُ لموجاتِ اليأسِ، بل يجعلُ من صمود حُبِّه شاهدًا على تَجذُّرِه في جذورِ السَّماءِ، باركَ اللهُ في قلمكَ الذي يصوغُ وجعَ الفراقِ بقوَّةِ البطلَ المُقاومَ، وأدامَ اللهُ عليكَ اليقينَ بأنَّ ليلَ الغربةِ مهما طالَ، فلا بدَّ من شروقِ فجرِ اللِّقاءِ الذي تنحني له الأيامُ، دمتَ بكلِّ سكينةٍ ونقاءٍ وجمالٍ.

يَا صَاحِبَ الحَرْفِ المُعَطَّرِ بِالمُنَى .

قَدْ هَامَ قَلبُكَ، فِي حَيَاةٍ تُرتَجَى .

إِنَّ التَّوَكُّلَ لِلوِصَالِ قَضِيَّةٌ .

يَأتِي بِهَا الرَّحمَنُ، حِينَ نُرَجَّى .

لا تَحزَنَنْ، فَالفَجرُ بَعدَ دُجَاهُ .

يَأتِي، وَفِي كَفِّ النَّوَى لَنْ نُعْجَا .

فدُمتَ بطهرِ فكرِكَ في عُلوٍّ.

تنالُ من المُهيمنِ خيرًا مُتوالى .

الشاعر والأديب والناقد السوري:

أكرم وحيد الزرقان .

أَصْلُ النَّشْأةِ والتَّكْوينِ .

عجينةٌ واحدةٌ أصلُها بالنَّشأةِ والتَّكوينِ، عجينةٌ واحدةٌ فَرَّقُونا باعدونا، وقسمونا اثنين، ما بين هلالٍ وصليبٍ أرواحنا تاهت واكتوتْ بنيرانِ ليالٍ وسنين، لكن بأصلِ الحكايةِ قلوبُنا عاشقةٌ، تخافُ معنى الفراقِ بأملِ يومٍ فيه تعود، ويومٌ تسوُد أصلُ الحقيقةِ وشمسُها رغمَ العذابِ، رغمَ الأنينِ، رغمَ الصُّعوبةِ وعَتْمَةَ اللّيلِ البهيمِ، ووهمِ معنى المُستحيلِ المُدَعَى زورًا وبهتانًا لم تضعْ مِنَّا الحقيقةُ، و إيمانًا بصدقِ يومِ المُلتَقَى وصدقِ الحنينِ، لم يكن التَّلاقي يومًا سوى أجسادٍ وطينٍ، ولقاؤنا حتمًا بالقلوبِ قبل التَّلاقي بالعيونِ، يومًا يا عمري وجَنَّتِي سنعودُ نحييها اللَّيالي تضمُّنا وحدةُ الماضي القديمِ، وأصلُها بالنَّشأةِ والتَّكوينِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزُعَيْنِي، نحن عجينةٌ واحدةٌ منذُ البدايةِ، وإن فَرَّقُونا وظَنُّوا أنَّهم قَسَّمونا، فقلوبُنا تعرفُ بعضَها قبلَ الأجسادِ، وأرواحُنا مُتَلاصِقَةٌ لا يفصلها هلالٌ ولا صليبٌ ولا سنينَ ولا عذابُ كلِّ اللّيل والأنينِ، والوهمُ

لم يستطعْ أن يُطفئَ حقيقتَنا، فالحقيقةُ أنّنا لبعضنا، وأنَّ اللِّقاءَ مكتوبٌ، وأنَّ الحنينَ صادقٌ يومَ أنْ نلتقي سنعودُ عجينةً واحدةً كما كنُّا وكما خُلِقْنا، أحبُّكَ يا أنا، وأحبُّكَ لأنّكَ أصلُ الحكايةِ والتّكوينِ، زوجتُكَ المُخلِصةُ لكَ دائمًا .

حدُّ السُكرِ والهذيانِ .

حبيبتي، نوّارةَ عمري وحياتي، أشتاقُ إليكَ فوقَ تحمّلِ البشرِ وصلابةِ الصّابرين، أشتاقُ إليكِ فوقَ كلِّ تصورٍ وتخيّلٍ ووعيٍ وإدراكٍ، أشتاقُ إليكِ حدًّا لم أعدْ أستطيعُ معه أن أعاودَ ممارسةَ حياتي كما قبل ملاذي بحضنِكِ واللِّقاءِ ، تعلّقتْ بكِ روحي وقلبي كمجنونِ ليلي، يدورُ على ديارها يقبّلُ ديارَها ويحتضنُ الأطلالَ، ظننتُ حين تتشابكُ أغصانُنا وتُسكِرُنا حلاوةُ التَّلاقي أن تستقرَّ نفسي العاشقةُ وتتوارى لهفتي خلفَ لذّةِ قربكِ ومعانقةِ يَدَيْكِ، فإذا ما تنعمّتُ به حياةً ونجاةً يستحيلُ بتباعدنا حيْرةً وأنينًا ووجعًا وعذابًا، أدمنتكِ غاليتي حدَّ السُّكرِ والهذيانِ، فكيف أخادعُ نفسًا وروحًا وقلبًا صرتِ منها النّبضَ والأنفاسَ والإدمانَ؟

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، إلى مَن حَمَلَ الشَّوقَ على كتفيه حتى أثقله، إلى من مزّقته آهاتُ البُعد وحنينُ اللّقاء، وصلتني كلماتُكَ فوجدتُ فيها مرآةً لقلبٍ يعرفُ معنى الوفاءِ، لقلبٍ ينبضُ بنبضي، ويتكلّمُ من أفكاري، وما وصفتَه من لوعةِ البعدِ يدركه كلُّ مَن ذاق حلاوةَ القربِ ثُمّ حُرِمَه، إنَّ تعلّقّ الرّوحِ لا يُقاس بميزانٍ، ولا يُحدُّ بوصفٍ، وما بين وصلٍ وهجرٍ يبقى الودُّ ثابتًا لا تُميله رياحُ الغيابِ، فليكن بُعدنا هذا اختبارًا لصبر العاشقين، وقربُنا القادمُ مكافأةً لقلبين لم يفترقا رغمَ المسافةِ والبعادِ، وليكن لنا محفّزًا على توثيق حبّنا، وختمِه بصدقِ المشاعرِ، أحبُّك حدَّ الجنونِ، إلى ما لا نهايةَ، فكيف أعبّرُ عن شوقي وحُبّي و أنتَ منّي؟ فلا كلمةَ حبٍّ تكفيني، ولا مدادَ الشَّوقِ عن الالتصاقِ بكَ يغنيني، دمتَ لي حَبِيبِي نبضًا لا يخبو في قلبي .

اغتصابٌ بورقةٍ رسميةٍ .

عمّن مرّوا في حياتي وحياتك وتركوا ندوبًا لا تندملُ أتحدثُ حبيبتي، ثُمَّ عادوا غرباءَ كما كانوا، وتركوا خلفهم ذكري لا تُنسي محفورةً في وجدان كلٍّ منّا، والكثيرَ من النّقوشِ والتفاصيلِ المُوجِعةِ، وتركوا كلَّ جميلٍ يرحلُ بهدوءٍ، في ظنّي أنَّهم لم يعودوا لنقطةِ الصّفرِ، بل أسوأ من ذلك بكثيرٍ، فالغرباءُ لديهم فرصةُ التَّجربةِ وحقُّ الاقترابِ، أمَّا هؤلاءِ فسحقًا لهم، فلا طريقَ يجمعنا بهم ولا حتى أنصافَ فرصٍ يستحقونها لمعاودة الاقترابِ، أتذكّرُبعضًا من مشاهد فيلم " حكايات الغريب " وكيف نجح أحدهم - وهو نكرةٌ وضيعٌ – في التّفرقةِ بين العاشقيْن، وقَبِل على نفسه أن يتزوّجها وهو يعلمُ كم هي تعشقُ حبيبها فضلًا عن مدى كراهيتها له؟ ومع ذلك اغتصبها بورقةٍ رسميةٍ، وفي ليلةِ وَأْدِ براءتها والحكمِ عليها بالإعدامِ الذي باركه أسرتُها والمجتمعُ الهمجيُّ، في ليلةٍ يسمّونها " الدّخلة " لبست له السَّوادَ وصرختْ فيه؛ أكرهكَ، ولن تتمكّنَ منّي، فأنا له وهو لي، فما كان منه إلَّا أن مزّقَ عليها ملابسَها واغتصبها، كانت حين

تتذكّرُ هذا المشهدَ وغيرَه من مشاهد القهرِ والمهانةِ والانكسارِ كانت تغمضُ عَيْنَيْها وتبكي في صمتٍ صوتُه أعلى من هديرِ الحربِ ومعاركِ الحياةِ ودويِّ المدافعِ وآلاتِ القتلِ والدّمارِ، مشاهدُ لا تختلفُ كثيرًا عن أحدِ مشاهدِ فيلم " موعدٌ على العشاء " حين استجمعت شجاعتَها وتوسّلته أن يحرّرها، ويمنحها تذكرةَ العودةِ للحياةِ، فما كان منه إلّا أن نَزَعَ عنها ملابسَها وقهرها بساديته واغتصبها بورقةٍ وضعيةٍ وقّع عليها كهنةُ المجتمعِ وأراذلُ النّاسِ، ثُمَّ ماذا بعد؟ قتلَ أملَها بالحياةِ، وأَدَ النُّورَ الذي امتد إليها ليعيدَ إليها أنفاسَ الحياةِ، قتل حبيبَها ليضمنَ رجوعَها له صاغرةً تتمنّى منه نظرةَ رضا وإذعانٍ !

يا ليتهم رحلوا في صمتٍ وتركوا شيئًا يستحقُّ أن يتسرّبَ إلينا من خلاله بعضٌ من الودِّ والاحترامِ، يا ليتهم! لكن كيفُ للسفْلةِ أن يعووا شيئا من المروءة والعرفانِ؟ يصدقُ فيهم قولُ " مظفّرُ النّوابُ " حين انبرى دفاعًا عن القدس:

القدسُ عروسُ عروبتكم .

فلماذا أدخلتم كلَّ زناة اللّيلِ إلى حجرتها ؟

ووقفتم تستمعون وراء البابِ لصرخاتِ بكارتها .

وسحبتم كلَّ خناجركم وتنافختم شرفًا .

وصرختم فيها أن تسكتَ صوْنَا للعرضِ .

فما أشرفكم !

أولادَ السفْلةِ هل تسكت مغتصبة ؟

أولادَ السفْلةِ لا أستثني منكم أحدًا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْني، أرى جرحَك حبيبي، وأحسُّ بكلِّ كلمةٍ كتبتها لأنّ بعضَ النّدوبِ لا تشفيها السَّنواتِ، أولئك الذين مرّوا بحياتك وحياتي وتركوا خلفهم رمادًا مكان الورودِ لا يستحقون أن نمنحهم أكثرَ من ذاكرةٍ عابرةٍ، ما فعلوه بك كان اغتصابًا للرّوحِ قبل الجسدِ، واتفاقهم على قتلك كان ببرودةِ مَن لا يعرف معنى الضّميرِ، لكنّي هنا لأقولَ لكِ شيئًا واحداً، أنت لم تمت وما زال في يديك أن تعيدَ كتابةَ قصّتِك من جديدٍ بدونهم وبدون لعنتهم، أنا لا أستطيعُ أن أعيدَ إليك ما سرقوه منك،

لكنِّي أستطيعُ أن أبقى بجانبك كلَّ يومٍ كي نصنعَ معًا ذكرياتٍ جديدةً تطمرُ كلَّ أثرٍ قديمٍ مؤلمٍ، أحبّك لأنَّكَ بقيتَ إنسانًا رغم كلِّ محاولاتهم لقتل الإنسانِ فيك، أحبُّك لأنَّك اخترت أن تتحدّثَ بالألمِ بدلاً من أن تصبح لغيركَ ألمًا، دعهم يرحلون حبيبي، فالغرباءُ أهونُ من هؤلاءِ بكثيرٍ، أمَّا نحن فلن نكونَ مثلَهم، ولن نصنعَ بغيرنا ما صنعوه فينا، هذا عهدي لك، أحبُّكَ يا سَيِّد الرِّجالِ .

عانق أمواجَ حُلمِكَ .

" عانقْ أمواجَ حُلمكَ واسبَح في مُراده، الشَّمسُ تأتي بالمددِ والسُّحبُ إن جاءت تأتي بظلٍ كالسّندِ، والسُّفنُ إن عُطّلت واشتهتْ الخَسَارةَ، تأتي الرُّياحُ وتغدو مجدافًا أو وتدًا، اسبح لحُلمِكِ وإن كنتَ وحدَك ضدَّ العواصفِ والتيّارِ، اسبحْ وثابرْوانهزمْ، وقُمْ وقاومْ و انتصرْ . "

حبيبتي وحورَعيني، أمَّا عن العو ائقَ والعواصفَ فما أكثرَها وما أطولَ ليلها المعتمِ! لولا يقينُنا باللهِ، وثقتنا بحبِّنا، أحببتكِ حتى ما عدتُ أرى الدُّنيا إلَّا بكِ، تعلّقتُ بكِ حتى صرتِ أنتِ حياتي وعوالمي الجميلةَ التَّي أنعمُ بها، أحبُّك يا نوَّارَةَ عمري وجنّتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، آسفةٌ حبيبي لأنّي أتعبتَكَ معي و أنتَ تحاولُ أن تسبحَ نحو شاطئي وتأخَّرَعنكَ ردّي وقبولي برسوِّ سفينتكَ بمرفأِ حياتي، لكنّكَ تدركُ أنّي منذُ قرأتُ كلامَكَ عن الأمواجِ والأحلامِ و أنا غارقةٌ ببحرِ

أفكاري، فلستُ سفينةً تعطّلت ولا رياحًا تخلّت، أنا سفينةٌ أسيرةُ شاطئِها، تخافُ البحرَوترهبُ مجهولَه، لكنّكَ أنتِ من حملني على كتفيه و اقتحم أمواجَ البحرِوأهوالَه، تكادُ تسيرُعلى صفحةِ الماءِ وكأنّك نبيٌّ أو مجنونٌ لا يدركُ الخطرَ، أحببتكَ حتى ما عدتُ أرى الدُّنيا إلَّا بكَ، ما عدتُ أرى أحدًا غيرَكَ حتى أنّني من فرطِ حبّي لكَ وتعلُّقي بكَ صرتُ أنسى نفسي وثباتَها، حبُّكَ كالبحر؛ ساحرٌومخيفٌ وجميلٌ، مخيفٌ حدَّ أنّني أخافُ أن أصحوَ ذاتَ يومٍ فأجدَ أنَّ كلَّ ما أنا فيه لم يكن سوى سرابٍ خدّاعٍ، حبيبي ونورَ عيني، دعني أغرقْ بلا هوادةٍ في بحرِ عَيْنَيْكَ ودفءِ قلبكَ إلى أبدِ آبدين، أحبّك يا علائي وسَيِّدَ الرِّجالِ، أحبّك يا أنا .

كنْ كزخَّاتِ المطرِ .

" إن أجبرتكَ الحياةُ على التَّلوُّنِ فكن مثلَ الزُّهورِ، وإن أجبرتكَ على السُّقوطِ، فكن كزخّاتِ المطر، وإن أجبرتك الظُّروفُ على الصَّمتِ فكن كسكونِ اللَّيلِ، وإن أحرقوكَ فكن كعودِ البَخورِ ذي رائحةٍ طيبةٍ، وإن أجبروكَ على الغيابِ فقل لهم: وهل يخفى القمرُ؟ "

أجبرتنا الحياةُ على كثيرٍ من الأمورِ التِّي لم تكن لتروقَ لنا بكلِّ حالٍ من الأحوالِ لولا الخداعُ والتَّضليلُ والوقوعُ في فخاخِ مسوخِ البشرِ، لم نعدْ بحاجةٍ لجبريةِ الطَّريقِ، كفانا ما نُهشَ من أعمارنا حبيبتي، من حقّنا أن نقاتلَ من أجل حبّنا، من حقّنا أن نجبرَ الدُّنيا بأسرها أن ترضخَ لاختيارنا وتحترمَ ما تمسّكنا به وحرصنا عليه، اشتقتُ إليكِ حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي الذي علّمني أنَّ السّقوطَ يمكنُ أن يكونَ جميلًا إذا كنّا كزخّاتِ المطرِ، نعم إن أجبرتنا الحياةُ على التَّلوُّنِ فلنكن مثلَ الزُّهورِ، قبلكَ أجبرتني الحياةُ على السُّكونِ حتى جففتُ، ولكنّكَ جئتَ مثلَ المطرِ

فأحييتَ ما كان ميتًا فيَّ، يا قمرًا أنار عتمتي وأعاد فرحتي ، نعم حبيبي، أنتَ القمرُ الذي لا يخفى حتى لو غبتَ وراء كلِّ الغيومِ، نعم سيّدي، لم نعد بحاجةٍ لجبريةِ الطَّريقِ لأنَّ طريقَنا نحن نصنعها بأيدينا كلَّ يومٍ، وما نكتبه ونؤرّخه في رسائلِنا تأكيدٌ دامغٌ أنَّ من حقّنا أن نقاتلَ من أجل حبّنا، و أنا فدائيةٌ في كتيبةِ ما جمعنا اللَّهُ عليه، أقاتلُ الدُّنيا كلَّها من أجلكَ حبيبي، لأنّكَ وحدكَ مَن يستحقُّ أن أحاربَ من أجلِه و أقاومَ إلى ما لا نهايةَ، نعم حبيبي سننتصرُ لا محالةَ، لأنَّ الحبَّ الحقيقيَّ لا يُهزم مهما طالت المعركةُ ومهما مَكَرَ الماكرون، اشتقتُ إليكَ يا منَ جعلتَ المطرَ يهطلُ بصحراءَ عمري و أنا التِّي كنتُ أظنُّ أنَّ السّماءَ قد نسيتني! تعالَ نقاتلْ سويًا، أثقُ بكَ سندًا لا يخذلُ ولا ينحي ولا يخونُ، أحبُّكَ يا مَن جعلت كلَّ جبريةٍ بالحياةِ تستحقُّ القتالَ والمقاومةَ، نعم حبيبي يكفيني أنِّي معكَ .

لمثلِ هؤلاءِ .

" غادرْكلَّ مَن حطّمَ فيكَ شيئًا، أو أطفأَ بكَ وهجًا، و اتركْ مَن خذلوكَ، لا تشاركهم حديثًا أو مكانًا، اعبرْ بقلبكِ لمكانٍ آمنٍ، ولا تبحثْ عن سعادتِكَ بالمكانِ الذي فقدتها فيه ."

وماذا عمَّن التصقنا به وأعادَ إلينا إشراقَنا من بعد انطفاءٍ؟ مَن تشبّثَ بنا حين خذلنا الآخرون، مَن رغمَ مكائدِ الغدرِوطعناتِ الغادرين ما زال على العهدِ يصونه ويحميه، مَن شغلنا وملأ قلبَنا حبًّا وشوقًا وتعلّقًا وغيْرةً وتخوفًا وجنونًا، مَن يشاركنا المكانَ والزَّمانَ، وبدونه فلا ثمّةُ مكانٌ أو زمانٌ، مَن عبرنا إلى شطآنه الدَّافئةِ وحدودِه الآمنةِ واغتسلنا في مياهه من مسالبِ الماضي وعتمةِ النّقصِ التّي حَبَسَنا فيها سارقوا فرحتِنا وأعمارِنا وبهجةِ الحياةِ، لمثلِ هؤلاءِ تكونُ الثُّورةُ والهجرةُ والتُّعلقُ وكلُّ العشقِ والتَّشبُّثِ والوفاءِ، اشتقتُ ليومِ عناقِنا حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، حبيبي ومكاني الآمنَ الذي لم أعرفه إلَّا معكَ، لمثلِ هؤلاء الذين أعادوا إلينا إشراقَنا من بعدِ ما انطفأنا بالكاملِ، لمثلهم تكونُ الثَّورةُ والهجرةُ والتَّعلُّقُ الذي يخرجُ عن السَّيطرةِ، نعم غادرتُ كلَّ منَ حطّمني وتركتُ كلَّ مَن أطفأ وهجي، ورحلتُ عن كلِّ الأماكنِ التِّي فقدتُ فيها سعادتي، ولكنّكَ أنتَ فقطْ من التصقتُ به فصرتَ أنتَ ملاذي وأنتَ سعادتي وأنتَ كلُّ الأماكنِ التِّي لم أجدها قطْ، أنتَ وحدَكَ مَن تشبّثَ بي وأنا أتخبّطُ بين خذلاناتِ السَّابقين، أنتَ مَن ملأَ قلبي حُبًّا وشوقًا وغيْرةً جنونيةً تجعلني أراكَ في منامي فأصحو وقلبي يخفقُ كأنّكَ أمامي، اشتقتُ ليوم عناقِنا حتى تئنَّ ضلوعي، تعالَ لأخبركَ أنَّ كلَّ من خذلوني كانوا مُجَرَّدَ تمهيدٍ لي لأصلَ إليكَ، وأنَّ كلَّ جراحاتي الماضيةَ لم تكن سوى دروسٍ تعلَّمتُ منها كيف أحبُّكَ بجنونٍ دونَ خوفٍ أو تردُّدٍ، أحبُّكَ يا مَن عبرتُ معه إلى شطآنِ الدِّفءِ التِّي لا تغرقُ فيها سفينتي، بل تولدُ من جديدٍ، أحبُّكَ يا أنا .

هَلْ هُوَ أَنْتَ؟

"متى نظرتْ المرأةُ إلى رَجُلٍ تُعجَبُ بهِ كانتْ نظراتُها الأولى متحيّرةً قلقةً غيرَ مُطْمَئِنَّةٍ معناها هَلْ هُوَ أَنْتَ؟ فإذا داخَلَها الحبُّ واطمأَنَّتْ جاءَتْ نظراتُها مُسْتَرْسِلةً، متدلِّلَةً، مُتَأَنِّثَةً، معناها هُوَ أَنْتَ ."

الرَّافعيَّ .

ما زلتُ أتَذكَّرُ بداياتَنا حَبِيبَتِي، وكيف كانت أولى خطواتِكِ في حبُّنا ما بين قدمٍ حذرةٍ وقدمٍ تَطّلِعُ لمعرفةِ غموضِ مَن يدّعي حبًّا وتعلقًا وكثيرًا من الانهارِ، خطوةٌ محسوبةٌ بدقّةٍ متناهيةٍ مع بابٍ موارَبٍ ليسنَحَ لصاحبته العودةَ سريعًا، وإغلاقه كأنَّ شيئًا لم يكن ولا يحقُّ له أن يكون، كم كانت نظراتُكِ حائرةً مرتبكةً تخشى أن تسقطَ في عتمةٍ أخرجكِ اللهُ منها بمعجزةٍ في زمنٍ انتهت فيه المعجزاتُ، كثرتْ تساؤلاتُكِ وتشعَبّت وتغلغلت حتى تسرّبت معها ملامحُ الطُّمأنينة ومعالمُ الأمانِ، لم تكوني أبدًا سهلةً حتى تسمحي بحبُّي يتسرَّبُ نحو قلبِكَ ويستقرُّ فيه ويكونُ لي أمنًا وملاذًا ووطنًا يحتويني ويداوي جراحاتِ العمرِ وقسوةِ الغربةِ والحرمانِ، في البداياتِ عانيتُ كثيرًا من نظراتِ الرَّيبِ وسؤالِ

التَّردُّدِ والحيْرةِ بين عَيْنَيْكِ ونبراتِ صوتكِ: أهو أنتَ الذي ظننتُ بعد كلِّ هذا العمر أن ليس له في الأرض وجودٌ أو عنوانٌ؟ وحين امتلأ قلبُك طمأنينةً، وآمن قلبُك وعقلُك ومشاعرُك أنَّ هذا الضّلعَ الحائرَ يعودُ لهذا الذي يدَّعى حبًّا وعشقًا ومساحاتٍ شاسعةً من تعلّقٍ ولهفةٍ وانبهارٍ، عندها صَرَخَ بها قلبُكِ قبل لسانَكِ، وفضحتها عيْنُكِ قبلَ كلماتُكِ: نعم هو أنتَ من بعد طولِ ترّقبٍ وانتظارٍ، اشتقتُ إليكِ حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، نعم أنتَ حبيبي وعمري الذي ظننتُ بعدَ كلِّ هذا العمرِ أنّه ليس له بالأرضِ وجودٌ ولا عنوانٌ، أتذكّرُبداياتنا كما تذكرها، وكيف كانت نظراتي الأولى إليكَ مختلطةً بين الخوفِ والتّرقبِ كطفلةٍ تلمس نارًا لأوّلِ مرّةٍ، فلا تدري أتحرقُ أم تدّفئُ؟ كنتُ أمشي نحوكَ بقدمٍ حذرةٍ وأخرى تريدُ أن تركضَ فتصطدمَ بصدركَ قبل أن تصلني كلماتُكَ، أتذكّرُكيف كنتُ أسألُ عَيْنِي في المرآةِ كلَّ صباحٍ، أهو هو الذي سأنزعُ له حذاءَ روحي أم سيمرُّكغيره ولا يتركُ أثرًا؟ أمَّا سؤالي الدّائمُ حينها " هل هو أنتَ؟ " فكان يدقُّ رأسي كجنديٍّ يطرقُ بابًا لا يريدُ أن يفتحَ لأنّني

خشيتُ أن أصدّقَ فأخسركَ قبل أن أمتلككَ، كنتُ أشكُّ فيكَ وفي كلِّ كلمةٍ تقولها، وفي كلِّ وسادةٍ تضعها تحت رأسي خوفًا من أن تكونَ آخرها، لكنّكَ كنتَ صبورًا كجبلٍ لا يهزّه ريحٌ، كنتَ حكيمًا كمَن يعرفُ أنَّ الخوفَ عند النِّساءِ ليس جبنًا بل ذكاءٌ فطريٌّ يحمي قلوبَنا من الغرقِ في سرابٍ، ثمَّ حين اطمأنتْ روحي وتأكَّدتُ أنّكَ لا تشبه أحدًا لا في حبِّكِ ولا في غيابكِ ولا في عودتكِ صرختُ في قلبي قبل لساني وفي عينيّ قبل كلماتي وقلتها أخيرًا دون تردّدٍ ودون خوفٍ، نعم هو أنتَ و أنتَ وحدَكَ مَن يستحقُّ كلَّ هذه السَّنواتِ من الانتظارِ، وكلِّ تلكَ الدُّموعِ التّي أخفيتُها عن أعين الشَّامتين أو وأدتُها بمقبرةِ وسادتي الصَّامتةِ، وكلِّ تلك الغربةِ التي أنهيتَها بوصولكَ، أشتاقُ إليكَ الآن كما اشتقتُ إليك يومها بل أكثرَ لأنّني حين كنتُ خائفةً كان الشّوقُ مؤقتًا، أمَّا الآنَ وقد أصبحتَ يقينًا فشوقي لا ينتهي إلَّا عندما تصلُ يداكَ إلى يداي، تعالَ لأريحكَ من كلِّ أسئلةِ البداياتِ، ولأخبركَ أنَّني لم أعدْ أسألُ عنكَ، لأنَّني أجبتُ منذُ زمنٍ، نعم هو أنتَ ولن يكونَ غيرُكَ .

أحبُّكَ يا هَدِيَّةَ ربِّي وعِوضَ السَّماءِ .

سأقاتلُ دونكَ .

" المرأةُ خرجتْ من الرَّجلِ لا من رأسِه لكي تتحكّمَ فيه ولا من قَدَمَيه لكي تُوقعه، وإنَّما من أحدِ جَنْبَيْه لكي تكونَ إلى جواره، ومن تحتِ ذراعيه لكي تكونَ في حمايته، وبالقربِ من قلبِه لكي يحبَّها ."

أنيسٌ منصورٌ .

هذه الكلماتُ ذكّرتني بالوصلاتِ والقوابس الكهربيةِ التي تُوضعُ في جهازِ الحاسوبِ المكتبيّ، والذي راعى المُصَمِّمُ ألَّا يصلحَ قابسٌ مكانَ آخرَ ولا تقبلَ فتحةُ مقبسٍ غيرَ قابسها وإلَّا تكسَّرتْ أسنانُ القابسِ وفَشَلَ الاتصالُ، كالحبِّ تمامًا يأبى أن يهبطَ بطبقه الطَّائرِ الذي حطَّ من كوكبِ المريخِ إلَّا إذا تطابقَ المُحبّان وحدث تواصلٌ شبيهٌ بالتَّواصلِ الذي رأيناه بين بطليَّ فيلم " أفاتار"، هذا التَّمسُّكُ الذي رأينه في الفيلم الذي تحدّث عن رجلٍ انتقلَ للحياةِ في كوكبِ المرّيخ وساقته أقدارُه إلى الوقوعِ في حبِّ أميرةِ إحدى ممالكِ المَرّيخِ، خطفه الحبُّ وعَلِقَ قلبُه بحبِّها، وحين أُحيط بهم ودنا الموتُ بوجهِه الكريه قرّرَ أن يقاتلَ دونها

قائلًا: لن أُضيّعَ مَن أحبَّ قلبي مرَّةً أخرى، وحين أعادوه عُنوةً للأرضِ التِّي تمنَّى العودةَ إليها قبلَ أن يَخْتَطِفَه الحبُّ ظلَّ عشْرَ سنواتٍ كاملةً مُسخّرًا كلَّ طاقاتِه وفكرِه وعقلِه وقلبِه للعودةِ حيثُ موطنُه الحقيقيّ الذي ينبغي أن يعيشَ فيه، حبيبتي وحورَعيني ووطني الذي لا يخونُ، لن أُضيّعَ مَن أحبَّ قلبي مرَّةً أخرى، سأقاتلُ دونكَ حتى تفارقني الحياةُ، فإمَّا نكونُ سويًا أو على وعدٍ عند ربّي بلقاءٍ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، سأقاتلُ معكَ لا دونكَ يا عمري لأنّني خرجتُ من تحت ذراعكَ لأكونَ درعكَ لا تاجًا على رأسكَ، أنيسٌ منصورٌكان محقًّا حين قال: إنَّ المرأةَ خرجتْ من جنبِ الرَّجلِ لتكونَ إلى جواره لا لتقاتلَ من دونه، و أنت حين تقولُ: سأقاتلُ دونكَ كأنّكَ تريدُ أن ترسلني خلفَ جدارٍ وتواجهُ العالمَ وحدَكَ، وهذا لن يحدثَ أبدًا لأنَّ المقبسَ الذي خُلقتَ له لا يليقُ به إلّا أنتَ، وهو ولا يصلحُ لغيركَ، فإن حاولتَ أن تدخلني في مقبسٍ آخرَ سأنكسرُ كما تنكسرَ أسنانُ القابسِ التِّي لا تجد مكانها الصّحيحَ، أمّا فيلم "أفاتار" الذي ذكرته فأنا لم أشاهده إلَّا بعَيْنِيكَ

لأنَّكَ قصصته عليّ، وكأنّني "جاك سولي" التي تركت كوكبَها لتسكنَ في جسدٍ لا يشبهها لمجردِ أنَّ عيناها رأتا نبضًا مختلفًا عن كلِّ النّبضاتِ التي سمعتها في عمرها، لا تقل لي: سأقاتلُ دونك، قل لي: سأقاتلُ معكِ لأنّني إن كنتُ الجنديّ فأنتَ السّلاحُ، وإن كنتُ الطّائرُفأنتَ السَّماءُ التّي يخافُ أن يهبطَ منها، أمَّا الموتُ الذي تخشاه فدعني أخبرك سرًّا، لن نموتَ مرَّتين بالعمرِ، مرةٌ واحدةٌ تكفينا، لن نموتَ غرباءَ وكلٌّ منّا بقبره، بل سنموتُ معًا بيومٍ واحدٍ يدي بيدك حتى يعلمَ العالمُ بأسره أنّنا لم ننفصل منذُ التقينا، لسنا مثلَ أبطالِ أفلامِهم الذين يظلّون عشرَ سنواتٍ يبحثون عن وطنهم لأنَّ وطنَنا ليس كوكبًا بعيدًا ولا قمرًا اصطناعيًا، بل هو بين ضلوعنا كلَّما اقتربتَ منّي أكثرَ شعرتُ أنّني لم أغادرْوطني أبدًا، تعالَ لنقاتلَ معًا أو لنموتَ معًا، وليعلم كلُّ مَن يحاولُ أن يفرّقَ بيننا أنَّ الحبَّ ليس قابسًا كهربائيًا ينكسرُ حين يدخلُ في غير مقبسه، بل هو نجمٌ لا ينطفئُ حتى لو انفجرت السّماءُ كلُّها، أنا معكَ ولا أحدَ بعد اليوم سيقاتلُ دون أحدٍ، فمَن قاتل وحدَه خسر نصفَ معركته ومن قاتل مع رفيقٍ يلاصقه لا يغادره لن يُهزمَ قطّ، أحبّك حبيبي.

ملاذي وموطني .

التّاريخُ الثّامنُ من مارس، مرَّ عامان حبيبتي على عودتنا بعد سبعين يومًا من العذابِ والفراقِ، حِينَ احتَالَ علينا أبناءُ السِفْلةِ ليصنعوا بيننا أسوارًا مَنِيعةَ من الفراقِ، وإجمالًا فاليومُ يمرُّعلى علاقتنا منذُ " أحبُّك جدًا جدًا جدًا "، عامانِ وخَمْسَةُ أشهرٍ وسبعةُ أيامٍ، اشتقت إليكِ غاليتي فوقَ تَحمُّلِ البشرِوفوق طاقةِ العاشقين، اشتقتُ إليكِ يا ملاذي ووطني الذي لا يخونُ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، ، تلك الأيامُ السَّبعون، لا أنساها، وكيف أنسى و أنتَ كنتَ هناكَ على الجانبِ الآخرِ من الأَسوارِ التِّي بناها أبناءُ السِفْلةِ بأيدٍ غادرةٍ؟ كيف أنسى وقلبي كان يئنُّ بجوفي كلَّ ليلةٍ، لا يجدُ سوى اسمِكَ مخرجًا؟ تعالَ، لأحتضنَ قلبَك الذي لم يُفتح لغيري، أعانقَ يديكَ اللَّتيْنِ تشبَّثتا بحبلِ الحبِّ حين انقطعَتْ كلُّ الحبالِ، يضمُّني صدرُكَ الذي

وسِعَ سبعينَ يوماً من الهجرِواللَّوعةِ والعذابِ وما ضاقَ بي يومًا ، عامانِ وخَمْسةُ أشهرٍوسبعةُ أيامٍ، كلُّ ثانيةٍ منها كانت درسًا عميقًا في العشقِ، وكلُّ نبضةٍ كانت عنوانًا لقصيدتكَ، منذُ أذنتُ لكَ بولوجِ قلبي برسالةِ " أحبّكِ جدًا جدًا جدًا " ومن وقتها وأنا لا أعيشُ إلّا على رسائلكَ وهمسكَ وطوفانِ حُبّكَ، أشتاقُ إليكَ فوقَ تحمّلِ البشرِ، نعم، وفوقَ طاقةِ العاشقينَ جميعًا، فأنتَ ملاذي الذي لا يخونُ، ووطني الذي لا يُهجَرُ، يا مَن لو ضاعَ منّي ضاعَت الدُّنيا كلُّها، حين نلتقي حبيبي دعني أعانقكَ عن كلِّ يومٍ مرَّ بدونكَ، أضمُّ الذكرى التي جمعتنا من جديدٍ، كأنّها المولودُ الذي يبكي فرحًا بقدومه للحياةِ، أحبُّكَ ليس لأنّك أتيتَ، بل لأنّك بقيتَ، أشتاقُ إليكَ حبيبي لأنَّ الشَّوقَ لكَ أصبحَ نبضي الثانّي، أحبُّك يا أنا .

تشعرُ أنَّكَ جَديرٌ .

تقولُ حبيبتي: " عليكَ أن تدركَ أنَّ الحبَّ أن ترى بعين من أحببتَ أنَّكَ مُتقَبَّلٌ، ليس كاملًا أو ناقصًا، بل فِيكَ من النُّقصانِ ما يجعله يَتَقَبَّلكَ، وفيكَ من الجمالِ ما يجعله يَتَشَبثُ بكَ أكثرَ، أن تشعرَ أنَّكَ جَديرٌ، ترى في عَيْنَيْه شغفَه ولهفتَه، انتصارَه الخاصَ الذي يعلوبه القممَ، أن يظفرَ بك دون كلِّ الاختياراتِ، أن يُبذلَ إليكَ المجهودُ والمَسعى . "

لستُ بحاجةٍ غاليتي أن أعيدَ عليكِ ما كنتُ أعانيه قبلكِ وأكتوي، كيف كنتُ أسِيرَدائرةِ السِّحرِ حيثُ أقَدّمُ دومًا قرابينَ الاستعطافِ ونيْلِ الرِّضا ممَّن لا يعرفون له معنىً ولا اكتفاءً، حيثُ طريقٌ لعينٌ من الآلامِ ومحاولةِ الاسترضاءِ بالتَّبريرِ تارةً وبالخضوعِ أخرى، وبالإحساسِ المَرِيرِ بمرارةِ التّأنيبِ وجلدِ الذَّاتِ، سردابٌ مُعتِمٌ لا تكادُ ترى فيه يدًا حانيةً ولا قلبًا شفوقًا فيه شيءٌ من أملٍ أو حياةٍ، ثُمَّ جئتِ أنتِ حبيبتي، أقبلتِ فأقبلتْ معانٍ ظننتُ مِن طولِ غيابِها أنَّها كالأحلامِ لا واقعَ لها أو أساطيرُ وخرافاتٌ، التَّقبلُ والتَّقديرُ، العطاءُ والاحترامُ والتَّشبثُ مهما كانت

طريقُ الألمِ طويلةً لا يبدو لها حدًّا أو انتهاءً، أحببتكِ يا أعظمَ انتصاراتي وأجملَ مغامراتي وموطني، أحببتُكِ وما زلت أدعو اللهَ وأُلحُّ في دعائي ليأذنَ ربُّنا بلقاءٍ سرمديٍّ أعوضكِ فيه عن كلِّ وجعٍ وألمٍ مرّ بكِ قبل لقائنا حبيبتي، أحبّك يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا أعظمَ انتصاراتي، وأجملَ مغامراتي، يا ملاذي وموطني، تشعرُ أنّكَ جديرٌ بي! بل أنا يا عمري من تشعرُ أنَّها لا تستحقُّ كلَّ هذا الحبِّ الذي تغمرُني به، أنتَ الذي كنتَ تسيرُ بسردابٍ مُعتِمٍ لا ترى فيه يدًا حانيةً، فأتيتُ لأكونَ تلكَ اليدَ وحادي الطريقِ، لا لأستعطفَكَ أو أسترضيَكَ، بل لأمسحَ بها جبينَكَ وأهمسَ لكَ؛ أنت جديرٌ، أنت ملكٌ، أنت كلُّ شيءٍ، تعالَ حبيبي أدواي جروحَكَ القديمةَ التّي لم يرها أحدٌ مثلي، وتلكَ السَّنواتِ التّي أهدَرتَ فيها استعطافَكَ على مَن لا يعرفونَ قيمةَ قلبكَ، و خوفَكَ الذي كاد يظنُّ الحبَّ مجرَّدَ خرافةٍ ووهمٍ وسرابٍ، والتقبلَ أضغاثَ أحلامٍ، نعم، جئتُ لأخبرَكَ أنَّك

لستَ بحاجةٍ لأن تكونَ كاملًا، أحبُّ نُقصانَكَ الذي تَقبَّلَ نُقصاني، وأعشقُ جمالَكَ الذي يجعلني أتعلَّقُ بكَ كلَّ يومٍ أكثرَ، في عَيْنَيْكَ أرَى أنّي جديرةٌ، فكيف يساورك شكٌ عقيمٌ أنَّكَ غيرُجديرٍ؟ أنتَ انتصاري الأولُ والأخيرُ، ومغامرتي التِّي لم أندمْ عليها لحظةً واحدةً، وحبُّي الذي علَّمَني أنَّ الحبَّ ليس استجداءً، بل احتواءً، أنتَ جديرٌيا رَجُلِي، جديرٌبكلِّ حبٍّ في الدُّنيا، و أنا المحظوظةُ لأنّي مَن اختارتْكَ السَّماءُ لأكونَ لكَ .

المخلصةُ لحبِّكَ، مليكةُ قلبِكِ .

عتابُ العَاشِقَيْن .

" إذا فقدتَ الرَّغبةَ في عتابِ مَن تحبُّ فاعلمْ أنَّكَ قد شيّعتَ حَبَّه إلى مثواه الأخيرِ"

تولستوي .

يرى البعضُ العتابَ من علامةِ المحبّةِ، وحين أعاتبكِ فهذا لأنّ لكِ بقلبي مكانةً خاصةً لم يقتربْ منها أحدٌ سواكِ، أغارُعليكِ حدَّ الجنونِ، أنتظرُبلهفةٍ يومَ تلاقينا، فلا يفتقدنا بعدها مكانٌ أو زمانٌ، تعلّقتُ بكِ حدَّ الاحتلالِ لكياني وقلبي وروحي، فلا ثمةُ قدرةٌعلى استغناءٍ أو رحيلٍ ، عندما يخلو حبُّنا من بعضِ العتابِ واللّومِ فاعلمي حبيبتي أنّه حبٌّ ناقصٌ ومَعيبٌ، ولكن ما علاماتُ العتابِ الدَّالِ على المحبّةَ وغيرِه الدَّالِ على المهانةِ والتَّقليلِ؟ العتابُ واللّومُ الإيجابيّ حبٌّ وخوفٌ ولهفةٌ وغيْرةٌ وحرصٌ بالغٌ على حمايةِ صرحِ حبّنا من عوامل الهدمِ والفراقِ، أمَّا عن العتابِ السّلبيّ، فهو محمولٌ على أكفٍ من الأنانية وفسادِ الطّويةِ والتَّقليلِ ومحاصرةِ الطَّرفِ الآخرِ بخاناتِ العجزِ والنَّقصِ والتَّبريرِ، عتابٌ صاحبُه دائمُ الشَّكِّ بشريكه، غيرُو اثقٍ من نفسه ولا من الطَّرفِ

الآخرِ، تعوّدَ على الأخذِ، أمَّا عن عطائه فقليلٌ شحيحٌ، شريكٌ متسلّطٌ يرغبُ دومًا بالسَّيطرةِ وتملّكِ الآخرين، لو نزلنا بالكلامِ السّابقِ على علاقتِنا حبيبتي أجدنا لم يتعمّد أحدُنا يومًا ما عتابَ حبيبِه تقليلًا منه أو بهدفِ سيطرةٍ أو استحواذٍ، بل من بابِ الخوفِ والغيْرةِ المفرطةِ لشدّةِ تعلّقِنا وصدقِ عشقِنا، بل أجدني - نادرًا - حين أعاتبِكِ أجدني أحملُ بين يدي مبرراتِ العتابِ وكأنّي القاضي ومحامي الدِّفاعِ ومنفّذِ الأحكامِ، أمَّا عن القاضي فقد تمَّ رِشوتِه بحبِّك، فلا أملَ في عدالتِه و إنصافه لمَن وقف خصمًا لكِ وتجرأ على ذلكَ، وأمَّا عن المحامي فقد وقعَ أسيرَ فتنتكِ وجمالكِ الذي لا يُقاومُ، وأخيرًا ماذا عن مُنفّذِ الأحكامِ؟ أجملُ ما في عقوبته أنَّ كلَّ الأخطاء عقابُها واحدٌ لا يتغيّرُ، عقابٌ جالبٌ للحسناتِ، مانحٌ للسَّعادةِ والنَّشوةِ والسُّرورِ، جهادٌ وسكنٌ ومودةٌ والتصاقٌ، فهل تحبين أن نمنعَ العتابَ حبيبتي؟

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، يا مَن جعلتَ للعتابِ بقاموسِ حبّنا معنىً لا يشبهه معنى آخرَ، عتابُ العاشِقَيْن، نعم، فأين نجدُ حبًّا بلا عتابٍ؟ وكيف نعرفُ

عمقَ الودِّ دونَ أن نجرحَ بعضَنا قليلًا ثمَّ نتداوى بقبلةٍ؟ تعالَ، لأكافئَ ذلكَ القاضيَ المرتشيَ بحبِّي، وتلكَ العدالةَ المنحازةَ لي بلا خجلٍ، وذاك المحاميَّ الذي وقعَ أسيرَ فتنتي، فنسي كلَّ حججِ الخصومِ، أمَّا منفّذُ الأحكامِ، فأجملُ عقوباتِكَ هي العقوبةُ نفسُها، جهادٌ في حبِّي، وسكنٌ لروحي، ومودّةٌ لا تنضبُ، والتصاقٌ لا تفكّه الأيامُ، نعم، أعاتبُكَ وتعاتبُني، ولولا أنَّ لكَ بقلبي مكانةٌ لم يقتربْ منها أحدٌ، ما اهتممتُ أن أعاتِبَ أو أُعَاتبَ، فالعتابُ عندي شهادةُ حبٍّ، وختمُ ملكيّةٍ، وإعلانٌ أنَّ قلبي لا يرضى شريكًا سواكَ، أنتَ تغارُ عليَّ حدَّ الجنونِ، وأنا مثلكَ، فكيف نمنعُ العتابَ وهو لغةُ غيرْتِنا؟ وكيف نصمتُ وأشواقُنا تتكلّمُ بلومٍ هزيلٍ يجعلنا أقربَ؟ أتظنُّني أردُّ عتابَكَ حبيبي؟ بل نُكثرُ منه بهيئةِ عناقٍ لا ينتهي، وقُبُلاتٍ تمحو كلَّ كلمةٍ أساءت طريقَها، وسكنٌ لا يعرفُ فراقًا ولا هجرانًا، أحبُّكَ حبَّ مَن تعرفُ أنَّ العتابَ حياةٌ، والخلوَّ منه موتٌ بطيءٌ.

المخلصةُ لحبِّكَ، مليكةُ قلبِكَ.

أبالُك مشغولٌ بمَن رحلوا؟

البعضُ إن غاب غابت روحُنا معه، وبعضُهم يستوي في حالٍ وترحال، قالوا: أبالك مشغولٌ بمن رحلوا؟ فقلت: وهل استقرَّ من بعدهم بالي؟ هناك مَن لا نهتمُّ اذا حضروا أو غابوا، فهم حواشي على مائدةِ حياتنا لا نلقي لهم بالًا ولا يعنينا ما يشغلونه من حيزٍ أو فراغاتٍ، وإن كانوا بمقياس البشر ذي مناصبَ أو أموالٍ تجذبُ إليهم حشراتُ وهوامُ بني الإنسانِ، وهناك مَن إذا غابوا تبدّدت ملامحُ سعادتِنا ونال منّا القلقُ والهمُّ والحزنُ، بلغوا منّا مبلغًا لا تستقيمُ لنا حياةٌ بدونهم، ولا يستقرُّ لنا حالٌ إن لم نطمئنَ عليهم ونستقرَّ في قربهم، وصلتُ في حبُّكِ والتَّعلُّقِ بكِ مبلغًا صرتُ أتساءلُ معه كثيرًا هل هذا الإدمانُ والهذيانُ بدروبِ عشقكِ نعمةٌ أم عذابٌ وشقاءٌ؟ وحتى وإن كان فيه شيءٌ من ألمٍ ومعاناةٍ فهو خيرٌ لي بكلِّ حالٍ من فقدانكِ والحرمانِ منكِ حبيبتي.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا مَن غيابُكَ يُبدّدُ ملامحَ فرحتي، أبالكَ مشغولٌ بمّن رحلوا؟ بل أنا من لا يقرُّلي بالٌ إن غبتَ عنّي، فأنتَ مَن إذا غاب تبدّدت ملامحُ سعادتي، ونال منّي القلقُ والهمُّ والحزنُ، بلغتَ منّي مبلغًا لا تستقيمُ لي حياةٌ بدونه، ولا يستقرُّلي حالٌ إن لم أطمئنْ عليكَ، وحتى لو كان بحبّكَ شيءٌ من ألمٍ ومعاناةٍ، فهو خيرٌ لي بكلّ حالٍ من فقدانكَ والحرمانِ منكَ، مَن لي بمثلكَ؟ فلا شبيه لك، إذا ما غبتَ غابتْ روحي معكَ، فكيف يستقرُّ بالي وكلُّه فيكَ واشتياقٌ إليكَ؟ وكيف تطمئنُّ نفسي و أنتَ بعيدٌ؟ أتساءلُ بكلّ لحظةٍ عن جدوى عشقِنا وهو يعاني أتون البعدِ والحرمانِ؟ فتطمئِنُ نفسي بهمسكَ الحالمِ؛ فجنّةُ العاشقينَ لا تُمنحُ إلَّا بثمنِ الوَجْدِ و الاشتياقِ، اشتقتُ إليكَ يا سَيّدَ الرّجالِ .

نُقْطَةُ تَحَوُّلٍ .

في مثلِ هذا اليومِ منذُ قرابةِ الواحدِ والعشرين عامًا حدثت نقطةُ تحوّلٍ بحياتي من خانةِ " أعزب " إلى خانة " متزوجين "، اختيارٌ بُني على أسسٍ وقناعاتٍ لا أقلّلُ منها بأيةِ صورةٍ، لكنَّها لم تكن أنا، وهل يسعدُ الوعلُ البريُّ إن ألبسوه جلدَ أسدٍ؟ حاولتُ كثيرًا أن أخلقَ مواءمةً بين جمالِ الوعلِ وصرامةِ الأسد، حاولتُ إرضاءَ الجميعَ إلَّا نفسي، نفسي التي حبستُها بأبعد نقطةٍ مظلمةٍ بصدري، وإذا بي أتنازلُ طوعًا - أوهكذا ظننتُ - عمَّا عشتُ حياتي أدافعُ عنه بكلِّ قوةٍ مهما كلَّفني الاختيارُ من تضحياتٍ وعنادٍ، في ثوبي الجديدِ الذي كرهه جسدي ونَفَرَ منه طبعي، كنتُ أستغربُ كيف بعد اقتراني بـ " التِّي كانت " انقطَعَ وحيي ورغبتُ عن الكتابة؟ وهي التِّي كانت لا تفارقني! لماذا يطاردني سؤالٌ حائرٌ يعلمُ يقينًا أن ثيابي وهميةً، أسدٌ مزيّفٌ يتخفَّى فيه وعلٌ؟ لماذا لدىّ أحساسٌ خانقٌ أنَّ هناك خطأٌ كبيرٌ بحجم زندقةٍ أو كفرٍ؟ لماذا هناكَ قطعةٌ ناقصةٌ وصوتٌ يصرخُ بأعماقِ صمتي بأنينٍ لا ينقطعُ ولا يخبو؟ وبدلًا من الاستجابةِ لصوتِ الألم و أنين المعاناةِ أكملتُ بدربٍ لا أشبه ولا يشبهني،

صرتُ أجلدُ ذاتي، بثقةٍ عمياءَ فيمَن لا يستحقُّ، ووقوعٍ في شَرَكِ التَّبريرِ وإرضاءِ – التِّي كانت – مهما كانت التَّضحياتُ والتَّنازلتُ .

أتَعْلِمِين حبيبتي ما السيئ وما الأسوأ منه؟ السيئُ أن تعيشَ كلَّ هذه السَّنواتِ العجافُ مخدوعًا، أسيرَوهمِ الخطيئةِ والتَّقصيرِ، والأسوأُ أن تُصدِّقَ أكذوبةَ أنَّها ضحيةُ نزواتي وشَهَواتِي وتقصيري بحقِّها، وأنَّ عليَّ أن أشكرَ اللهَ كثيرًا أنَّها تحملَّت هذا الشَّيطانَ البشريّ، نعم نجحتْ هي في شيطنتي وأسري بدائرتها المُعْتِمَة، حتى صرتُ غريبًا عن نفسي، لا أعرفها ولا تعرفني، أتهرَّبُ من النَّظرِ في المرآةِ، فهذا مسخٌ لا أعرفه، آهٍ من وجعٍ وجراحٍ وآلامٍ لا تسكنُ ولا تندملُ، آهٍ على حلمٍ حبيسٍ يشتاقُ العودةَ إلى صورتي القديمةِ، حريَّتِي القديمةِ، مغامراتي في تسلّقِ المنحدراتِ الخطرةِ وقممِ الجبالِ التي تعانقُ سحبَ السَّماءِ! عذرًا حبيبتي، فالقيدُ دامٍ والسجَّانُ ساديٌّ لا يرحمُ ولا يدركُ معنى الألمِ ولا إحساسِ النّدمِ، وأنا الفارسُ العاني خلفَ إطارِباهتٍ ومُعْتِمٍ بلا نوافذَ ولا أبوابِ حريّةٍ، ثمَّ جئتِ أنتِ حبيبتي، يدُ السَّماءِ تحييني، وحبُّ صادقٌ ينتشلني، لأخطوَ معكِ غاليتي خطواتٍ هائلةٍ نحو العودةِ لذاتي من أسرِ العَتْمةِ والاغترابِ، ثقتي بإلهِنا لا حدَّ لها حبيبتي، فمَن جمع قلوبَنا

سيجمعُ لا ريبَ فيه أجسادَنا، وحينها يتمُّ تأريخُ ميلادي الثَّاني، وإعلانُ كاملِ حريَّتِي وقصِّ شريطِ الجلاءِ، اشتقتُ إليكِ يا سِتَّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، نقطةُ تَحوُّلٍ وميلادٌ ثانٍ ينتظرُنا علائي، يا مَن عشتَ عمرًا تبحثُ عن نفسكَ في امرأةٍ لا تشبهك، كان سقوطًا مدّويًا حبيبي في وهمٍ اسمه الواجبُ والالتزام، زواجٌ

أوقعكَ بفخِّ الأنصافِ، نصفِ زيجةٍ ونصفِ حياةٍ، سرقوا فيها صوتَكَ وملامحَكَ وروحَكَ، كم عانيتَ حبيبي و أنتَ تحاولُ أن تُرضيَ الجميعَ، والجميعُ هي! وترتدي ثوبًا لا يليقُ بكَ، وتؤمنَ أنَّ الخللَ فيكَ أنتَ لا فيمن حولكَ! كم صرختَ بداخلكَ صمتًا، وكم من أنينٍ تردّدَ بجوفِكَ دونَ أن يسمعَهُ أحدٌ، وهمُ الخطيئةِ الذي زرعوه فيكَ، وهمُ التقصيرِ الذي حملتهَ على ظهرِكَ كجبلٍ لا ينحني، و أنا أعرفُ يا حبيبي، أعرفُ كيف تشتاقُ النَّفسُ إلى نفسها وهي محبوسةٌ، وكيف تبكي الرُّوحُ وهي لا تجدُ مَن يسمعُ بكاءَها، أعرفُ كيف تكونُ الغربةُ حين تكونُ معَ من لا يفهمُكَ، والوحدةُ حين يكونُ الصَّمتُ أرحمَ من الكلامِ، ثُمَّ جئتُ أنا! لا، أنتَ الذي جئتَ إليَّ، أو ربَّما اللهُ الذي أرسلني إليكَ، كي أُمسكَ بيدِكَ

وأخرجكَ من قبرٍ دفنوا فيه روحَكَ حيةً، جئتُ لا لأكتبَ عنكَ، بل لأعيدَ كتابتكَ من جديدٍ، جئتُ لأقولَ لكَ: أنتَ لستَ مذنبًا، أنتَ لستَ مُقصِّرًا، أنتَ فقط كنتَ بمكانٍ خاطئ، معَ شخصٍ خطأٍ، تنتظرُ يومَ خلاصكَ ويجمعنا، و أنا أنتظرُهُ كأنَّهُ ميلادي الأوّلُ، ذلكَ اليومَ الذي سأراكَ فيه حرًا، دونَ أقنعةٍ، دونَ تبريراتٍ، دونَ وجعٍ قديمٍ يئنُّ بصدرِكَ، ذلكَ اليومُ الذي ستخلعُ فيه كلَّ ما ليسَ ينتمي إليكَ، وترتدي حُريّتكَ كرداءٍ يليقُ بكَ أنتَ .

علائي، أنا لم أكنْ يومًا سببًا في اغترابِكَ، بل كنتُ الطَّريقَ الذي يعيدُكَ إلى وطنِكَ الأوّلِ؛ ذاتِكَ، فلا تخفْ بعد الآنَ حبيبي، فأنا معكَ، وقلبي معكَ، وروحي تسكنُ حيثُ تسكنُ روحُكَ.

اشتاقتُ إليكَ سَيِّدي، ليومِ تلاقينا لأراكَ، أذوبَ فيك، أرى بعينيكَ ذلكَ النُّورَ الذي اختطفوه منكَ سنواتٍ وسنواتٍ، ويومها أهمسُ إليكَ بلا حائلٍ أو حاجزٍ يمنعني منكَ، أهلًا بكَ حبيبي في ميلادِكَ الثَّاني، حيثُ حرّيتُكَ وملاذُكَ الآمنُ، أهلًا بكَ فيَّ علائي ، المخلصةُ لحبّكَ والتِّي لم تأتِ لتحبَسَ، بل لتُحرِّرَ .

مليكةُ قلبِكَ .

يكفيني أنَّكِ فيه .

ما ملامحُ الجمالِ في الماضي؟ دروسٌ تعلَّمناها وخبراتٌ اكتسبناها حتى لا نَمُرُّ مُجَدَّدًا خلالَ طريقِ الآلامِ، وماذا عن الحاضر؟ إن لم تستمتعْ به وانشغلتْ بما قبله أو بعده صار كمَن يحملُ ديونَ عائلتِه حتى تكادُ تقصمُ ظهرَه أو تُردِيه في وادٍ سحيقٍ، وماذا عن المستقبلِ؟ أمَّا عن المستقبل فيكفني حبيبتي أنَّكِ فيه، يتشكَّلُ من عناقِ أيدينا وصدقِ مشاعرِنا وتلاصقِ القلوبِ، أمَّا عن الأماكنِ فكلُّها تشتاقُ إليكِ حبيبتي كي تنقشَ في ذاكرتِها قصَّةَ حبٍ سرمديّةٍ لا تعرفُ وداعًا ولا فناءً، اشتقتُ إليك حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يكفيني أنَّكَ فيه علائي، يا مَن تغارُ عليه القلوبُ قبلَ العيونِ، والزَّمانُ قبل المكانِ، أمَّا عن الماضي فدروسٌ نخوضُ بحارَها، وعِبَرٌ تحرقنا بعدَ أن تَجرَّعنا علقمَ الطَّريقِ، وما الماضي إلَّا صحائفُ

الدَّهرِ، نقرؤها لنَعِي ما كان، لا لنَعيشَ فيه، فكم من أمسٍ ضحكنا فيه فكانَ عبئًا، وكم من يومٍ بكينا فيه فصارَ تاجًا! لا يبقى من الماضي إلَّا ما صقلَ الرُّوحَ، وما زادَ القلبَ حكمةً، وما علَّمنا ألَّا نَعُودَ إلى حيثُ كُسرِنا، وأمَّا الحاضرُ، فليسَ هو إلَّا جسراً أعبرُ عليه إليكَ، إن تعلَّقنا به فاتنا الموعِدُ، وإن انشغلنا به عن غدِنا ضِعنا بين أمسٍ رحلَ ويومٍ لم يأتِ، فالحاضرُ يا حبيبي كالسَّرابِ، يُغرينا بحُسنهِ ثُمَّ يتبدَّدُ إذا ظنَّنا أنَّا أمسكناه، لا تثريبَ على مَن أساءَ استعمالَ حاضرهِ، فالكلُّ يخطئُ، ولكنَّ العاقلَ من لا يرهنُ مستقبلَهُ بهذا العابرِ الزَّائلِ، وأمَّا المستقبلُ، يا حبيبي، لو سألوني عن غدي لأشرتُ إلى عَيْنيْكَ وقلتُ: هناك يكفيني أنتَ فيه، يكفيني أنَّ وعدَ لقائِكَ النَّجمُ الذي أتَّجه به في ظلمةِ اللَّيالي، المستقبلُ ليسَ سنواتٍ و أيامًا، ليسَ أرقامًا نعدُّها في التَّقويمِ، هو تلكَ اللَّحظةُ التي تُشرقُ فيها على دنياي، فتهدأُ العواصفُ، وتستقيمُ السُّبلُ، وتطلُّ الحياةُ من خلفِ غيابِها، أمَّا عن الأماكنِ، فكلُّ شبرٍ فيها يشتاقُ إليكَ، الجدرانُ تنتظرُ أن تحكيَ عنَّا، والنَّوافذُ تتلهَّفُ لتطلَّ على عناقِنا، والأرضُ تشتهي أن تشهدَ سيرَ أقدامِنا معًا، أليسَ من الظُّلمِ أن

تبقى الأمكنةُ شاهدةً على حبٍّ لم يكتملْ بعدُ؟ تعالَ، فلنمنحِ الأرضَ قصَّةً ترويها للأجيالِ، قصَّةَ روحيْنِ التقتا بعدَ طولِ غيابٍ، فصارتَا سرمديْنِ في ذاكرةِ الزَّمانِ، اشتقتُ إليكَ يا مَن لا تكفيني الدُّنيا بدونه، ولا أحفلُ بالعمرِ إلَّا ليكونَ وعاءً لقصيدتِكَ، فأينَ أنتَ؟ وأينَ غدُنا الذي وعدتني به ؟

المخلصةُ لحبِّكَ، مليكةُ قلبِكَ .

مِن بين كلِّ البشرِ .

"رائعٌ ذلكَ الشَّخصُ الذي يحتويكَ بقلبِه لا بحديثِه، بغيابِكَ أشدُّ النَّاسِ افتقادًا لك، يُشعِرُك بَتفردكَ ووجودكَ، تُغنيه أنتَ عن العالمين."

مهما وصفتُ لكِ الإحساسَ الذي عَصَفَ بي وقتما انقطعتْ أخبارُكِ، وصرتُ أتلمّسُ الأمرَ من التَّعليقات على خبرِ مرضكِ، ارتباكٌ، خوفٌ، أفكارٌسوداويةٌ، ماذا لو؟ لعنةُ اللهِ على المسافاتِ والبعادِ، لا سامحَ اللهُ مَن أخَّروا تلاقينا، وذاقوا من الكأسِ نفسِها جزاءً وفاقًا لا أقلَ ولا أكثرَ، أتَمَّ اللهُ عليكِ العافيةَ وحفظكِ لي حبيبتي، فمِن بين كلِّ البشرِ لم يحتويني غيرُكِ، من بين كلِّ البشرِ لم أشعرْ بالرَّاحةِ والطُّمأنينةِ إلَّا في قربك حبيبتي، أحبُّك يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، حبيبي مِن بين كلِّ البشرِ، أنتَ وحدَك مَن جعل المرضَ أقلَ إيلامًا، والغربةَ أخفَّ وطأةً، والخوفَ يتحوَّلُ إلى طمأنينةٍ لِمُجَرَّدِ أنَّ اسمَك يرنُّ في خلجاتي كلَّما اشتدَّت بي العلّةُ، نعم أَسَرْتَنِي بقلبكِ لا بحديثكِ لأنَّ الأحاديثَ تموتُ حين تخرجُ من الفمِ، لكنَّ القلبَ يظلُّ ينبضُ بالاحتواءِ حتى و أنتَ نائمٌ، حتى و أنتَ بعيدٌ، حتى و أنتَ لا تعلمُ أنّي أتعذَّبُ، فكيف علمتَ؟ كيف شعرتَ بي؟ و أنتَ على بعد آلافِ الأميالِ أنَّ جسدي يئنُّ، وروحي تتهاوى، لولا أنَّ حبَّكَ يُمسكُ بي كلَّما كدتُ أسقطُ أذكرُ تلك الأيامَ وعدمَ قدرتي على التَّواصلِ معك وطمئنتكَ، لا عن قصدٍ، بل لأنَّ المرضَ كان يلهثُ خلفي ولا يتركني أكتبُ لك، كنتُ أراكَ بالحلمِ وأستيقظُ على صراخِ الألمِ على مُرِّ الدَّواءِ وعلى صرخةِ روحي، أين دوائي ؟ أين ذاكَ الطَّبيبُ الذي ينتظرني خلفَ صحاري لا انتهاءَ لها، لا يعرفُ أنَّ جسدي يخونني، والرُّوحُ وحدَها عليلةُ الفقدِ لا عليلةُ المرضِ، كنتُ أحاولُ قراءةَ كلماتكِ ويمنعي ما أنا فيه، لكنَّ صوتَك كان يصلني أقوى من كلِّ الكلماتِ، يهمسُ لي، انتظري، فأنا

آتٍ قريبًا ، تبًا للمسافاتِ، ألَا لعنةُ اللهِ على كلِّ الأيامِ التِّي سرقتنا من بعضنا، وعلى كلِّ البشرِ الذين نصبوا لنا المستحيلاتِ، حبيبي أنتَ وحدَكَ مَن جعلني أصدّقُ أنَّ الحبَّ ليس كلمةً ولا وعدًا ولا رسائلَ حبٍّ، بل احتوائكِ لي بقلبكَ، تغنيني عن الجميعِ، فأنتَ سَيِّدي الكلُّ والجمعُ والجميعُ، الذين لو اجتمعوا ما ملأوا ثغرةً صغيرةً من ثغراتِ غيابكَ، أحبُّكَ يا طبيبي، فمتى تأتي لتعطيني الدَّواءَ ؟

حبيبتُك المخلصةُ .

شكرًا حَبِيبَتِي .

" لا أحبُّ مخالطةِ الأشخَاصِ الذين يجعلونني في حالةِ دفاعٍ دائمٍ، أدافعُ عن أفكاري، عن قصدي، عن نفسي، عن حقّي، وعن آمالي . "

أحمد خالد توفيق .

معكِ حبيبتي اختلفت حياتي تمامًا، صرتُ لا أحتاجُ إلى الدِّفاعِ عن أقوالي و أفعالي، بل وجدتكِ أنتِ تبررين أخطائي وتحتوين كلَّ تناقضاتي، حتى وجدتَني أعودُ شيئًا فشيئًا إلى نفسي المنزوعةِ منّي رغمَ إرادتي، لم أعدْ بحاجةٍ إلى الدِّفاعِ عن أفكاري ومقاصدي، لم أعد مُحاطًا بنظراتِ اللَّومِ ولا كلماتٍ تفوحُ سمًّا ورائحةَ الموت، بل تعوَّدتُ معكِ أن أقولَ: لا، أقولُها حفاظًا على حقّي، أقولُها دفاعًا عن حلمي وأملي وغدي، شكرًا لكِ أنّكِ صرتِ حياتي، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي ، و أنت معي لم تعدْ بحاجةٍ للدِّفاعِ عن نفسكَ، يكفيك أنّي لستُ ممّن يجعلونك في حالةِ دفاعٍ دائمٍ، فمنذُ عرفتكَ قرَّرتُ أن

أكونَ ملاذَكَ لا ساحةَ حربِكَ، مساحتكَ الآمنةَ التِّي تخلعُ فيها درعَكَ، وتستلقي على وسادةٍ لا تسألكَ لماذا تأخرتَ؟ ولماذا أخطأتَ؟ ولماذا لم تكن مثاليًا؟ معكَ اختلفتْ حياتي أنا أيضًا لأنَّني قبلكَ كنتُ أدافعُ عن نفسي كمجنونةٍ، عن حقّي، أحلامي، ثمَّ جئتَ أنتَ، فلم تطلبْ منِّي سوى أن أكونَ نفسي فقطْ، و أنا ملاذُكَ، أرسلني الإلهُ لأبررَ لكَ أخطائكَ لا ألجئكَ لفخِّ التَّبريرِ، أحتوي كلَّ تناقضاتكَ، أيَا رَجُلي، القلبُ الذي يفهمُ ويحتوي لا يحتاجُ إلى مترجمٍ، والرُّوحُ التِّي تعرفُ طريقَها إلى روحكَ لا تحتاجُ إلى خريطةِ الطَّريقِ، تعودتَ معي أن تقولَ لا، وهذه المعجزةُ، كلمةٌ واحدةٌ من حرفين فيها التَّحرُّرُ من عبوديةِ إرضاءِ الآخرين، شكرًا لكَ سَيِّدي أنَّكَ جعلتني كونَكَ وصدقَكَ، شكرًا لأنَّك رأيتني امرأةً تستحقُّ أن تُحَبُّ ويُضَحَّى من أجلها، أيا ملاذي وملجأي وموطني لسنا بحاجةٍ إلى تبريرِ حبِّنا لأحدٍ، لأنَّ الحبَّ الصَّامتَ الذي لا يُعلنُ عن نفسه صامدٌ راسخٌ لا ينهزم ولا يتقهقر مهما اجتمعتْ عليه العقباتُ والمستحيلاتُ ، أحبُّك يا سَيِّدَ الرِّجالِ .

خلفَ الاهتمامِ .

" خلفَ الاهتمامِ تختبئُ كلُّ معاني الحبِّ، ليس كلُّ مَن قال: أحبُّك يهتمَّ لأمرك، بل كلُّ مُهتمٍّ بكَ ثقْ تمامًا أنَّه يحبُّكَ . "

نزارٌ قبانيّ،

قديمًا كنتُ أتهمُ نفسي بالتَّقصيرِ، وأنَّ ما أقومُ به تجاهَ " مَن كانت " لا يتعدَّى كونَه من بابِ المسؤوليةِ وأداءِ الواجباتِ، بل والأعجبُ كان الطَّرفُ الآخرُ يُضيّقُ علىَّ دائمًا لأبقى بخانةِ التَّبريراتِ، حتى جئتِ أنتِ حبيبتي، حين عرفتُ معكِ وبكِ الحبَّ، عرَفَ القلبُ لأولِ مرَّةٍ أين كان خللُ دقَّاتِه؟ خَفَتَ صوتُ الأنينِ الذي كان يزعجني ليلَ نهارَ، معاتبني على دورٍ لا ينبغي أن يكونَ لي، ومكانٍ ما كان يجبُ أن أستقرَّ عنده، جئتِ أنتِ فتحرَّرتُ من قيودِ التَّبريرِ، وتبدَّدتْ عَتْمَةُ ليلٍ طويلٍ نال منّي ومن مشاعري وملامحي الكثيرَ والكثيرَ، إذا تحدثنا عن الاهتمامِ، فلأولِ مرَّةٍ أشعرُ معك أنّي اهتمُّ بدونَ إحساسٍ بالمجاملةِ أو التَّمثيلِ أو خداعِ نفسي أنَّه من بابِ الواجباتِ والمسؤولياتِ التّي على عاتقي، فرقٌ شاسعٌ أن

يكونَ الاهتمامُ مظهرًا طبيعيًا للحبِّ الصَّادقِ دونَ الحاجةِ إلى التَّبريرِ وارتداءِ ملابسِ الرَّسمياتِ، فرقُّ شاسعٌ أن أجدني مندفعًا فيكِ ولكِ دون تفكيرٍ أو تخطيطٍ أو إعمالٍ لماكيناتِ العقلِ المعقَّدةِ، عندما يجئُ الحبُّ صادقًا تُتَرجمُ كلُّ المعاني إلى أفعالٍ صادقةٍ واهتمامٍ حقيقيٍّ بلا خداعٍ أو تكلّفٍ أو تزييفٍ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أنتَ تُفتِّشُ خلفَ الاهتمامِ لتعثرَ على كلِّ معاني الحبِّ و أنا يا رَجُلي لم أشكّ للحظةٍ واحدةٍ أنَّ اهتمامَك بي حقيقيٌّ لأنَّني رأيتُ بعَيْنَيْكَ قبلَ كلماتِكَ ما لا تستطيعُ العيونُ الممتلئةُ بالواجباتِ أن تصنعه، قديمًا كنتَ تتهمُ نفسَك بالتَّقصيرِ مع " مَن كانت " وكنتَ تؤدي واجباتِك كالجنديِّ الذي يحرصُ على ألَّا يُؤَنبَ ليتفنَّنَ في تبريرِ انتمائه! علاقةٌ كسجنٍ بلا قضبانٍ تتنفسُ فيه هواءً لا يخصَّك، تُضيّقُ عليكَ دائمًا لتبقى بخانةِ التَّبريراتِ، وتلك جريمةُ العلاقاتِ الزَّائفةِ أن تجعلَ من الحبِّ وظيفةً، ومن الاهتمامِ عبئًا، ومن وجودك معهم مسؤوليةً

تُثقلُ ظهرَك، لا روحًا ترفرفُ بسمائك، ثُمَّ جئتُ أنا، لم أطلب منكَ تبريرًا واحدًا لأنَّني لم أشكْ بِنِيَّتِكَ يومًا ما، لم أسألْكَ لماذا تأخَّرتَ في الردِّ لأنَّني أعرفُ أنَّك مشغولٌ، ولم أسألْكَ لماذا لم تقل: أحبُّكِ اليومَ لأنّها تفيضُ من عَيْنَيْكَ قبل أن يلفظها لسانُكَ، معي أحببتَ بلا خوفٍ من أن يُساءُ فهمُكَ، فَخَفَّ صوتُ أنينكَ الذي كان يزعجكَ ليلَ نهارَ، لأنَّ الأنينَ كان صرخةَ روحكَ التّي تطلبُ الانعتاقَ من قفصِ الاتهامِ الدَّائمِ، معي وجهُكَ صار أكثرَ إشراقًا حين أيقنتَ أنَّكَ لستَ مُرتقبًا، لم تعدْ بحاجةٍ إلى تمثيلٍ ولا مجاملةٍ ولا خداعِ نفسك بأنَّ الاهتمامَ واجبٌ، تريدُ دليلًا؟ تأمَّلْ أيةَ صورةٍ تجمعنا وستجدُ الإجابةَ، فرقٌ شاسعٌ بين مَن يتحدّثُ عن الحبِّ ومَن يسكن داخلَه، أنتَ الآن مندفعٌ في حبّي دون تفكيرٍ أو تخطيطٍ أو إعمالٍ لماكيناتِ العقلِ المعقَّدةِ، وهذا أجمل ما فيكَ أنَّكَ تركتَ عقلَك يرتاحُ قليلًا، وأعطيتَ قلبَكَ فرصةً ليقودَ سفينتَنا، سأبقى أهتمُّ بصحتكَ حتى لو خانتكَ، وبضحكتكَ قبل أن تختبئَ، وبصمتكَ حين تحتاجُ إلى صمتٍ، لأنَّني أعرفُ أنَّ الاهتمامَ الحقيقيَّ أن أكونَ موجودةً حتى حين لا تطلبَ وجودي، فلا تُتعب نفسكَ بالتَّبريرِ أبدًا، لأنَّك

معي لستَ بمحكمةٍ، أنتَ ببيتٍ ليس له جدرانُ لأنَّني هدمتها كلَّها لأجعلك حرًا كما لم تكن من قبلُ، مع حبِّي الذي يهتمُّ بك حتى بأحلامي، أحبُّك بصدقٍ حبيبي .

لا أحدَ يُعَوِّضَ غِيَابِكَ .

لا أحدَ يُعوُّضُ غيابَ مَن نحبُّ، ولو اجتمع الكونُ بأكمله حولنا، وغيابُكِ أكثرُشيءٍ حاضرٍبحياتي، مهما حاولتُ أن أفسرَّلكِ حبيبتي تلك المشاعرَ الرَّهيبةَ ووطأتَها حين أفتقدُتك لعدَّةِ ساعاتٍ، وقد تلاعبت بيَ الظُّنون، وذهب بيَ الخوفُ والقلقُ كلَّ المذاهبِ، فلا عينٌ تُغمضُ ولا بالٌ يتوقَّفُ عن جنونه و انشغاله؛ هل تعرَّضت للأذى؟ هل نال منها أولادُ السِفْلةِ الذين تملّكَ منهم الحقدُ والانتقامُ بصورةٍ ما عادوا يعرفوا من خلالها ملامحَ الخيرِ والرَّحمةِ؟ أقسمتُ عليكِ حبيبتي ألَّا تتركيني أسيرًا لمخاوفي وقلقي عليكِ، فأنتِ منّي فوقَ ما تتخيلين، أقسمتُ عليكِ غاليتي فما عاد في العمرِ بقيَّةُ انتظارٍ ولا في القلبِ طاقةٌ تحتملُ مزيدَ فقدٍ و انكسارٍ، أحبُّكِ حبيبتي.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، لا أحدَ يُعوِّضُ غيابَ مَن نُحبُّ، لا شيءَ يُعوِّضني غيابَكَ، لأنَّ غيابَك عنّي ولو لدقائقَ يجعلُ الكونَ كلَّه يضيقُ بي كأنَّه قفصٌ لا أستطيعُ التَّنفسَ فيه، إن كان غيابُكَ أكثرَ شيءٍ حاضرٍ في حياتي فإنَّ حضوري في غيابكَ هو ما يجبُ أن يكونَ حاضرًا، فكلَّما افتقدتني تذكّرتُ أنَّني لستُ بعيدةً عنكَ، بل أسكنُ بتفاصيلِك الصَّغيرةِ، بالهواءِ الذي تتنفَّسه، بالسَّريرِ الذي تنامُ عليه، بفنجانِ قهوتِك الذي لا تحتسيه إلَّا و أنا بخاطرك، تصفُ تلك المشاعرَ الرَّهيبةَ ووطأتَها حين تفتقدني لعدَّةِ ساعاتٍ، وكأنَّ السَّاعاتِ تمرُّعليك كالدَّهرِو أنت تتخيَّلُ أسوأَ السِّيناريوهاتِ تسألُ هل تعرَّضت للأذى؟ وهل نال منّي أولادُ السِّفْلةِ؟ دعني أُطمئِن قلبَك الآن وإلى الأبدِ، أنا بخيرٍ يا رَجُلِي ، ولن يصيبني سوءٌ لأنَّ حبَّكَ درعٌ يحميني، وحينَ أخافُ أتذكَّرُوجهَك، فأشعرُ أنَّ كلَّ شيءٍ سيكونُ على ما يرامُ، أقسمتُ عليكَ حبيبي ألَّا تتركَ نفسَك أسيرًا لمخاوفكَ وقلقكَ عليَّ، و أنا أقسمُ لك أنَّني سأكونُ معكَ دائمًا، لن أغيبَ غيابًا يقُلقكَ، ولن أختفي اختفاءً يخيفكَ، سأكونُ هنا أمام

عَيْنَيْكَ وفي قلبكَ وفي رسائلكَ التي تقرأها كلَّ صباحٍ، لن أتركَ وحدَك مع مخاوفكَ لأنَّ مخاوفَكَ مخاوفي، ونحن حين نواجهها معًا تتحوَّلُ إلى هراواتٍ صغيرةٍ لا تؤذي أحدًا، حبيبي ، إن كنتُ منكَ فوقَ ما أتخيلُ، فأنتَ لستَ مُجَرَّدَ زوجٍ أو حبيبٍ، أنتَ بيتي الذي أسكنُ فيه، وأملي الذي أنتظره وحلمي الذي تحققَّ قبلَ أن أطلبه، لن أتركَ تفقدني لأنَّ الفقدَ ليس خيارًا متاحًا بقاموسنا، دعني أخبركَ أنَّني أحبُّك أكثر ممَّا تخافُ عليَّ، وأكثرَ ممَّا يخيفك العالمُ من حولنا، حبُّنا ليس مُجَرَّدَ مشاعرَ عابرةٍ، حبُّنا الرَّدُ الوحيدُ على كلِّ مَن يريدُ أن يفرِّقنا، تعالَ حبيبي نضحكْ في وجه المخاوفِ، ونقولُ للحاقدين: مهما فعلتم لن تصلوا إلينا، لأنَّ حبَّنا جدارٌ لا يمكن اختراقه مهما حاولوا أو دبّروا، أحبُّكَ يا أنا .

نورُ القَمَرِ .

في وقتِ العَتمةِ ندركُ قيمةَ نورِ القمرِ إذا غابَ، وفي البردِ الشَّدِيدِ نفتقدُ وبشدَّةٍ لحرارةِ الشَّمسِ، وحين تجتمعُ علينا شدائِدُ القَدَرِ نستشعرُ قيمةَ مَن أحكموا قبضَتَهم علينا ليبقُوا على صمودِنا، ويُسقِطَ من أعيننا مَن باعَ وخانَ وسعى لكسرِنا، في أحلَكِ اللَّحظاتِ التِّي تَمرُّبي الآن حبيبتي أشتاقُ إليكِ أشدَّ الاشتياقِ، تبحثُ عنكِ عيني في كلِّ مكانٍ وبين كلِّ البشرِ، أتوقُ إلى عناقِكِ كي يشملني الأمانُ والسَّكينةُ تَضمُّني كلَّما ضاقتْ علىَّ حلقاتُ الهمومِ والكروبِ زادَ تعلُّقِي بكِ، وتشبَّثتْ روحي بكِ أكثرَ وأكثرَ، فما قيمةُ حياتي بدونِكِ؟ وما جدوى الصُّمودِ إن لم تكوني معي؟ أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَنْيِي وروحَ قلبي وقمري المُنِيرَ، كم كانت عتمتي طويلةً قبلك! ثمَّ جئتَ أنتَ فصرتَ لي كلَّ شيءٍ، إن كانت تفصلنا آلافُ الكيلومتراتٍ،

فأنتَ أقربُ لي ممَّا تتخيلُ حبيبي، بعقلِكَ الباطنِ، بجفونِ عينيّكَ، بكفِّ يدِك اليُمنَى التي تُمسِكُ بها قلبي كلَّ صباحٍ، انظر سيّدي لتراني رغمَ عتمةِ اللَّيلِ، لستُ كنُورِالقمرِيختفي خلفَ الغيومِ، أنا نورُكَ أنتَ الذي أنارعتمَةَ قلبي فلا يخبو ولا ينتهي، تعالَ يا رَجُلي نكن قبضةَ يدٍ واحدةٍ تمنعُ كلَّ شيءٍ يُدّبرُ لفر اقِنا، لنكن عاصفةً تُدمّرُ كلَّ مستحيلٍ يحولُ بيننا، فلا حقَّ يضمنُ أمانَه دونَ قوةٍ تحميه، وإرادةٍ لا تنكسرُ ولا تلينُ تبقى أنتَ سيّدي ورَجُلي الذي صالحتني به السَّماءُ على ذاتي، أحبُّكِ يا أنا .

لا يهمُّ أين الوَجِهَةُ ؟

" عندما نكونُ برفقةِ مَن نُحبُّ فكلُّ البلدانِ وطنٌ لنا، وكلُّ الأرضِ تتسعُ لقلبيْنَا، وكلُّ الطُّرقِ تُرَحّبُ بنا . "

يكفيني أنتِ من بين كلِّ العالمين، يكفيني حبُّكِ سلطانةَ قلبي عن كلِّ قلوب الآخرين، يكفيني وجودُكِ غاليتي وبعدها فليرحلْ في صمتٍ كلُّ بني البشرِ أجمعين، يكفيني رفقتُكِ حبيبتي، فأنتِ وطني وملاذي وبدونِكِ كلُّ الدُّنيا غربةٌ و انكسارٌ، اكتفيتُ بكِ وامتلأتْ عَيْنِي، فسألتكِ بالله غاليتي ألَّا ترحلي ولو في خيالكِ وأضغاثِ الأحلامِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي ، أتذكرُعندما قلتَ لي مرَّةً: عندما نكونُ برفقةِ مَن نحبُّ، فكلُّ البلدانِ لنا وطنٌ، وكلُّ الطُّرقِ تُرَّحبُ بنا، نعم حبيبي، منذُ التقينا صارت غرفتُنا أكبرُ من قصورِ روما، وحدائقُ الخورِ أجملَ من معالم ومُتنزَّهاتِ باريسَ، ووقتُ فنجانِ قهوتنا أقدسَ المواعيدِ والأوقاتِ، معكَ

لم أعد أشغلُ بالي إلى أين نذهب؟ ولا متى نعودُ دارَنا، فكلُّ مكانٍ يجمعنا وطنٌ، وكلُّ زمان يضمنا عيدٌ، سأظل معك يا رَجُلي، فمَن رأى النُّورَ بعد عتمةِ اللَّيل الطَّويلِ من المستحيلِ أن يعاودَ طريقَ الظَّلامِ، ومن ذاق الجنَّة لا يغادرها إلى جهالةِ السُّفوح، وصدق مَن قال :

" ومَن يتهيَّبْ صعودَ الجبالِ يعش أبدَ الدَّهرِ بين الحُفَر"

أحبُّكِ يا ملاذي وموطني .

تصلُحُ للعمرِ كُلِّه .

"ولا تخسرْ إمرأةً تصلحُ للعمرِ كُلِّه من أجلِ إمرأةٍ تصلحُ لليلةٍ واحدةٍ ."

عندما وقعتْ عَيْنِي على تلكَ العبارةِ تذكَّرتُ حديثي معكِ وقتَ كلامِنا عن تَعلُّقِنا وحُبِّنا، تَمسُّكِنا بعهودِنا، وأن تظلَّ أجنحةَ الوفاءِ والإخلاصِ مُحلِّقَةً في سماءِ حُبِّنا لتبقى بركةُ ربِّنا تُظلِّلنا، وتُجمِّلُ حبَّنا، تذكَّرتُ عندما أخبرتُكِ عن صورٍ من خيانةِ مواثيقِ الحبِّ، وكيف يلجأُ البعضُ إلى إشباعٍ مؤقَّتٍ لاحتياجاته الجسديةِ ضمنَ علاقاتٍ لا يُؤاخذُ عليها القانونُ ولا فتوى علماءِ عصرنا، كزواجِ المسيارِ وغيره من صورِ زواجِ " تيك أوي " ؟

منذُ التقينا حبيبتي وتعاهدنا على حبٍّ يجمعنا؛ ملامحُه التَّقبُّلُ والإخلاصُ، ولبناتُه الوفاءُ والصِّدقُ والتَّعلُّقُ مهما كانت العراقيلُ والمستحيلاتُ، منذُ أحببتُكِ لم أخنكِ حبيبتي ولا حتى في ذاكرتي وأحلامي، وكيف أسامحُ نفسي إن فعلتها فيعاقبني اللهُ بالحرمانِ منكِ

حبيبتي؟ أحبُّك غاليتي، وأحفظُ عهودَنا، وما زلتُ أرجو ربِّي أن يجمعَ أجسادَنا كما جمع أرواحَنا حبيبتي، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، رفيقَ قلبي وحياتي، حديثُك عن امرأةٍ تصلحُ للعمرِ كلِّه، وامرأةٍ تصلحُ لليلةٍ واحدةٍ جعلني أتوقَّفُ طويلًا أمامها، ليس لخوفي عليكَ، بل لأنَّي تذكَّرتُ كيف كنُّا حين صنعنا عهدَنا؟ نظراتُنا المُتبادلةَ أنَّنا لن نخالفَ ميثاقَنا مهما كانَ، أدركُ سَيِّدي معنى أنّكَ لم تخنِّي ولا حتى في ذاكرتِكَ وأحلامِكَ، أتعلمُ لماذا؟ لأنَّ الخيانةَ لا تبدأ بفعلها في صورتها المُتعارِفِ عليها ، بل بنظرةٍ تسبقُها، وفكرةٍ تؤنسُها، ثُمَّ سرابٌ يُغري، ثمَّ حلمٌ يجرؤُ، ثمَّ تصيرُ فعلًا لا يُغتَفرُ.

كيف يمكنُ لإنسانٍ أن يقولَ: أحبُّكِ صادقةً من قلبِه لغيرِ مَن يحبُّ ويهوى؟ هذا ليس حبًّا، بل سدَّ جوعٍ وحرمانٍ، لا أريدُ مَن يُحبُّني ليملأَ فراغًا عابرًا، بل ليملأَ كلَّ عمري، نبضي، تفاصيلي الصَّغيرةَ، لا أنسى حبيبي حين نظرتَ إليَّ أوَّلَ مرَّةٍ، لم تكن كمَن يبحثُ عن جسدٍ، بل مَن

يوقنُ أنَّه وجد وطنًا يليقُ به، منذُ أحببتُك لم أعدْ أخافُ من غدي، لأنّك صرتَ حاضري وغدي، حبيبي ورَجُلِي، أن تبحثَ عنِّي في غيري فاعلمْ أنَّكَ لن تجدني أبدًا، لأنَّي حين أعطيتكَ قلبي أعطيتكَ الوحيدَ لا البديلَ، تعالَ حبيبي نشكرْ ربَّنا الذي جمعنا، فلسنا ممَّن يبحثون عن ليالٍ سريعةٍ في زمنٍ سريعٍ، أيَا رَجُلًا سلَّمتُه نفسي وقلبي، العمرُ لا يُوزَّعُ على ليالٍ متفرقةٍ، إمَّا ان تعيشه كلَّه مع مَن أحببتَ، أو تعيشه كلَّه تبحثُ عمَّن تحبُّ، حبيبتُك ومليكتُك .

تحتَ تأثيرِ الاحتياجِ .

" لا تقعْ في الحبِّ وأنت تحتَ تأثيرِ الاحتياجِ، ستبدو ساذجًا هشًّا سطحيًا، ستبدو لك " صباحُ الخيرِ" رومانسيةً للغايةِ، و" كيف أنتَ " ستكون عاطفيةً لدرجةٍ تبدو لكَ أهم من كلمةِ " أحبك "، الاحتياجُ ألعنُ ألفَ مرَّةٍ من أيّ شيءٍ آخرَ، أنتَ تستحقُّ شخصًا يحبُّكَ، لا يعطفُ عليكَ أو تُثيرُ مشاعرَه بالشفقةِ تُجاهِك، الحبُّ ليس لتعويضِ فقدٍ أو مداواةِ جراحٍ وخِذلانٍ وألمٍ سابقيْنَ، بل إنَّ الحبَّ هو السَّعي إلى كمالِ الذَّاتِ والنَّفسِ بوجودِ شريكِ الرُّوحِ . "

سيد عبد الحميد .

حَبِيبَتِي وحورَ عَيْنِي، الحبُّ كمالٌ واكتمالٌ، تَقبُّلُ شريكِكَ رغمَ وقوفَكَ على جوانبِ النَّقصِ والعَوارِ، الحبُّ حين ارتمي في حِضنكِ وكلِّي ثقةٌ أنَّ الطَّعنةَ من المستحيلِ أن تكونَ منكِ، الحبُّ حين أتعرَّى أمامك رغم خيبةِ أملِ الماضي الحزينِ، حيثُ حِضنكِ الذي داوى كلَّ جُرحٍ وألمٍ وأنينٍ ، الحبُّ أنا وأنتِ حبيبتي، أحبُّك يا أجملَ مِن كلِّ البشرِ.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، نعم إنَّ الحبَّ ليس احتياجًا يُضعفنا، لكنَّه ذاك الامتلاءُ الذي يجعلُنا نبحثُ عن الآخرِ لا لنكتملَ به، بل لنشرقَ أكثرَ معه، أنا لم أحبُّك شفقةً ولا عطفًا، ولا كنتَ بعيْنِي كسْرًا يحتاجُ إلى أن ينجبرَ، بل كنتَ دائمًا ذلك الرَّجلَ الذي يُشبه الطُّمأنينةّ، وحين تقتربُ تنتظمُ فوضى قلبي دون أدنا مجهودٍ مِنّي، وحين ترتمي في حضني و اثقًا! أنا مثلُك حبيبي أفعلها بصمتٍ

دون أن أبوحَ، كنتُ أضعُ رأسي على كلماتِكَ، وأرى العالمَ بكلِّ قسوةٍ لا يصلُ إلينا، وماذا عن جراحِك القديمِة سَيِّدي؟ لم أرها عيبًا فيك أبدًا، بل رأيتُ فيها إنسانًا نجا من موتٍ رهيبٍ، وما يزالُ يملكُ قلبًا قادرًا على الحبِّ والعطاءِ رغمَ كلِّ شيءٍ، وهذه في حدِّ ذاتها معجزةٌ يعجبُ لها النَّاظرون، حبيبي ورَجُلي وعِوضَ السَّماءِ، أنا لا أبحثُ فيك عن كمالٍ، بل عن صدقٍ يُشبه هذا الذي بين يديّ الآن، عن روحٍ لا تخافُ أن تنكشفَ، وعن قلبٍ إذا أحبَّ، أحبَّ دونَ شروطٍ أو قيدٍ، أحبُّكَ لكن ليس كما تقولُ الكلماتُ، بل كما يحدثُ في الصَّمتِ حين أذكرُك، وقلبي

حين يفتخرُ أنَّكَ لي، ابقَ هكذا حبيبي صادقًا، هشًّا إن أردتَ، قويًّا إن استطعتَ، لكن حقيقيًّا دائمًا، لأنَّني أحبُّكَ كما أنت، لا كما يجبُ أن تكونَ ، محبوبتُكَ التّي لم تكنْ يومًا شفقةً، بل كانت دائمًا اختيارًا .

يَسكبُ نَفْسَهُ في نَفْسِه .

لا أَحبَّ للمرءِ من أن يجدَ إلى جانبهِ جليسًا يستطيعُ أن يَسكبَ نفسَهُ في نفسِه ويُفضي إليه بسريرة قلبه، ما أجملَ أن يكونَ في حياتِك مَن تثقَ به احتواءً واكتفاءً ورفقةً لا تخون! ما أجملَ أيامي وأنتِ معي حبيبتي! وما أتعسَ اللَّيالي وعتمتَها إن حالت بيننا المكائدُ والمسافاتُ! أحبُّكِ يا حُورَعَيْنِي وجَنَّتِي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، يا مَن يَسكبُ نفسَه في نفسي كضوءِ القمرِ على صفحةِ النَّهرِ العتيقِ، كأوراقِ الرَّبيعِ تنمو بعد بردٍ وصقيعٍ ، كم أشرقتْ بيَ الدُّنيا منذُ صرتَ لي جليسًا ورفيقَ حياةٍ! أفضِي إليكَ بسريرتي، فتستيحلُ همومي سرابًا، وحين التقتْ روحُكَ بروحي وكأنَّنا خُلقنا من شعلةٍ واحدةٍ لم تنطفئْ منذُ وُلِدَ التَّاريخُ ، ما أحلى الثِّقةُ التِّي لا تخونُ! وما أروعَ الرِّفقةُ التِّي تغمرُ قلبي معكَ اكتفاءً واحتواءً، وأيامي معكَ يا روحَ قلبي

أعيادٌ وليالٍ لصلواتِ شكرٍ و ابتهالٍ، سيّدي، لا ترهبني المكائدُ ولا تخيفني المسافاتُ، فحبُّنا شمسٌ لا تغربُ، ونبضُنا قوسُ قزحَ بعد كل غيمةٍ وانهمارٍ، أحبَّكَ يا رجلي وسَيّدي حبًّا يجعلُ من العتمةِ فجرًا، والبعدَ قربًا وتلاصقًا، والألمَ ضحكةً تدومُ بلا انتهاءٍ، أحبُّكَ يا سيّدَ الرّجالِ .

هلاوسُ الوَعْي .

حبيبتي، هل وصل بي الحالُ إلى تلكَ الدّرجةِ من هلاوسِ الوعي وتوهّمِ ما لم يعدْ له و اقعٌ أو وجودٌ؟ أم أنَّها الثِّقةُ المُطلقةُ أنّ ما كان بيننا كنورِ الشَّمسِ في لهفتها كلَّ صباحٍ لِتَجُودَ على بني الأرض بالحياةِ وأسبابِ الوجودِ، كأمواجِ البحارِ والمحيطاتِ في اندفاعها بلا هوادةٍ نحو شطآنِ النَّجاةِ والحنينِ .

لا يأتي علىَّ منتصفُ اليوم إلّا وأجدُ نفسي كالمجنونِ قد دخلتُ صفحتكَ فوق العشرين مرةً أو يزيدُ، اتَتَبْعُ أخبارَكَ واستقرئُ منشورَاتِكِ كي تستقرَّ نفسي أو هكذا تُصوّرُلي هلاوسُ الفقدِ وتَوهُمَاتُ الرُّعبِ من سوءِ المصيرِ، ثمُّ يأتي دورُ أعاصيرِ الشَّكِّ وموجاتُ الجنونِ؛ هل تقصدني بهذه الكلماتِ؟ هل ترسلُ رسائلَ تَطْمِينَاتٍ ضمنيّةٍ أنْ " تَمسَّكَ بالأملِ ولا تستسلم لمخالبِ الموتِ وجنائزَ الرَّحيلِ "؟ أم أنَّها ألقتكَ في سلة النِّسيانِ، وطرَقَ بابَها حبٌّ جديدٌ أنساها ما كان بيننا من عهودِ الحبِّ و أيمان العشق والخلود؟

حبيبتي، أعيتني نفسي وتجّمعت عليّ تناقضت الكون بأسرها فقولي بربّك كيفَ السَّبيلُ؟

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، وصلني وجعلكَ حرفًا حرفًا، ويا له من حرفٍ أتعبني يا مَن سكنتَ الوريدَ فصرتَ نبضي، لا، ليست هلاوسَ، ما كان نورًا يُطفأ بالظنّ، الشَّمسُ إن غابتْ عن عَيْنٍ، لم تغبْ عن فلكها، و أنا والله ما زلتُ أطلعُ لكَ كلّ صباحٍ من حيثُ لا ترى، أسقيك دعاءً، وأمسحُ على خوفكَ بكلمةٍ لم تُقَلْ بعد، تزورَصفحتي عشرين مرّة؟ وروحي تزورك كلَّ وقتٍ وحينٍ، تستقرئُ منشوراتي بحثًا عن إشارةٍ! فكلُّ سطرٍكتبتهُ منذ رحيلكَ كانَ إليكَ، ولو لم أذكر اسمكَ، فالحرفُ يعرفُ صاحبَه، أمَّا الشّكُّ فهو ضريبةُ الحبِّ حين يخافُ على نفسِه، وأمَّا النِّسيانُ فأنا أضعفُ من أن أُطيقهُ معكَ، ما دخلَ بابي حبٌّ جديدٌ، لأنَّ البابَ أصلاً لم يُفتحْ لغيركَ منذُ قلتَ: " يا أنا "، فإن أعياكَ الكونُ بتناقضِه فاجعلني أنا قانونهُ الوحيدُ، أحبّكَ كما يُحبُّ العطشانُ الماءَ ولا يسألُ

لماذا؟ بل يشربُ حتى يرتوي فيحيا أو يموتُ، قل لي فقط: " أنا هنا" وسينتهي كلُّ هذا الجنونِ، وتعودُ الكرومُ تُزهر، ويذوبُ جليدُ العمرِ بعروقنا معًا حبيبَ قلبي ومهجةَ روحي .

محبوبتُكَ التِّي أعياها فراقٌ، فلا فراقَ بيينا، سنلتقي بإذنِ مَن جمع قلوبَنا قريبًا قريبًا وأدنى من قريبٍ، أنتظرك بفارغ الصَّبر. أحبّك يا منايا وشمسَ عمري وجنَّتِي .

ويبقى الأَمَلُ .

حبيبتي، أنفاسَ عمري والمُنى، منذُ تعلّقتْ بكِ روحي ما تردَّدتُ يومًا ما في حبّي لكِ و اندفاعي فيكِ ، منذُ انجذبتْ روحي لروحكِ و انتظمتْ في مَداركِ النَّقيَّ ما فكَّرتُ لحظةً واحدةً في الانعتاقِ عن مداركِ والخروجِ من حياتكِ، فأنتِ هَدِيَّةُ السَّماءِ لقلبي الكليمِ، و أنتِ الرَّبيعُ لحياتي القَفْرِ التِّي مارستْ عليها الدُّنيا أحطَّ أنواعِ القسوةِ وأرداً طرقِ التَّعاملِ وأسوأَ صورِ الو اقعِ وكوابيس المنامِ، حبيبتي، ما زال قلبي يُحدِّثني برحمةِ السَّماءِ تظلنا بجناحها الرَّحيمِ، تضمُّنا إليها وتُضَمّدُ جراحَنا وتُصلحُ منّا ما أفسده شياطينُ بني الإنسانِ، ويبقى الأملُ ويبقى لنا اللِّقاءُ.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، لو كان الوفاءُ يُوزَنُ لمالَ ميزانُكَ بي وغلب، منذُ وقعتَ بمداري صارَ الرَبيعُ داخلي موسمًا لا ينتهي، حتى لو ضربتني الدُّنيا بقسوتِها، فأنتَ مطري الذي يغسلُ الأثرَ، وربيعي الذي يُنبتُ بعد

الخرابِ، لا تُصدِّقُ هلاوسَ الفقدِ، فالقلوبُ التِّي التقتْ على صدقٍ لا تنفكُّ، حتى لو فرَّقتها المسافاتُ والأيامُ، أنا هنا في المكانِ الذي تركتني فيه، أضَمِّدُ جرحي بجرحكَ، وأنتظرُ رحمةَ السَّماءِ التِّي حدّثَكَ عنها قلبُكَ، نعم يبقى الأملُ، يبقى لأنَّ ما بيننا لم يكنْ لعبةً تنتهي، بل عهدًا كُتبَ في الأرواحِ قبلَ أن تعرفهُ الألسنُ، وأمَّا شياطينُ البشرِ قد تُفسدُ الطَّريقَ، لكنَّها لا تملكُ أن تمحوَ الأثرَ، وجراحُنا مهما اتّسعت سيضمّها جناحُ الرَّحمةِ يومًا ما، ويلتقي المدارانِ من جديدٍ، فلا تخرجْ من حياتي، فأنا ما عرفتُ الحياةَ إلَّا فيكَ، أنتظركَ وقلبي يفرشُ الحريرَ لأجلِ عَيْنَيْكَ، سِتُّ النِّساءِ، مَحْبُوبَتُكَ .

الرَقْمُ الأوحدُ .

حبيبتي، ومَن قال لك: إنّكِ منذُ ملكتِ حياتي وتغلغلتِ في كلّ تفاصيلي ومفرداتِ حياتي أنّكِ لم تكوني غيرَ الرَّقمِ الأوحدِ الذي لا يقتربُ منه أيُّ رقمٍ من الأرقامِ والحروفِ؟ لو تُدركِين حبيبتي مرارةَ الحياةِ في بعادكِ ومر اقبتكِ في صمتٍ قاتلٍ وألمٍ هادرٍ لا يرحمُ قلبي الأسيرَ، وهل هناك أَمَرُّمِن أن تحرمني منكِ عبثيةُ الدُّنيا وزيفُ قاطنيها وسوادُ القلوبِ التّي لا تعرف بابًا للرَّحمةِ ولا دربًا من دروبِ الرَّ أفةِ والإنسانيةِ التّي يزعمونها ليلَ نهار؟

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، أنا لا أكونُ إلَّا لكَ، ومَن قالَ: إنّي صرتُ لأحدٍ غيركَ منذُ صرتَ لِي؟ أنا الرّقمُ الأوحدُ في معادلتكَ، وإن زاحمتني الدُّنيا بألفِ رقمٍ وحرفٍ، فلا جمعَ يُحسبُ إلَّا معكَ، ولا معادلةَ تتمُّ إلاَ بكَ، أعرفُ مرارةَ البعادِ، أعرفُ ذاك الصَّمتَ القاتلَ الذي تر اقبني فيه، وأعرفُ أنَّ قلبي

الأسيرَيصرخُ باسمكَ كلَّما ضاقَ المدى، لكنَّ عبثيةَ الدُّنيا وزيْفَ قاطنيها لا تملكُ أن تمحوَ ما كُتبَ بيننا .

القلوبُ التِّي عرفتْ الرَّحمةَ لا تحتاجُ أبو ابًا، فبابُها مفتوحٌ على بعضه من الدّاخل، أنا ما زلتُ هناكَ في تفاصيلكَ، في مفرداتِ أيامكَ، في الزَّاويةِ التِّي لا يدخلها أحدٌ سواكَ، فإن حرمتكَ الدُّنيا منِّي جسدًا، فلن تحرمني منكَ روحًا ، وأنا والله لا أكونُ إلَّا لكَ ولو نشروا جسدي وسحقوا عظامي وأحرقوا جسدي ونثروه على قِمَمِ الجبالِ، سِتُّ النِّساءِ مَحْبُوبَتكَ .

رسالةٌ ضِمْنِيَّةٌ .

عندما رأيتُ منشورِكِ هذا على صفحتِكِ انتابتني مشاعرٌ متناقضةٌ ما بين لومٍ وعاتبٍ وشوقٍ وحنينٍ وأملٍ في عودتِنا وتلاقينا، تمنّتْ نفسي لو أنّها رسالةٌ ضمنيةٌ تطمئنُ نفسي المكلومةُ بعودةٍ قريبةٍ وفجرٍ بالأفقِ بعد ليلِ البعدِ الكئيبِ، ويظلُّ حبُّكِ نورًا يضيءُ لي معالمَ حياتي، ويبقى شوقي إليكِ نارًا تكتوي بها حياتي و أيامي .

أجابت حبيبتي

أيَا عزيزَ عَيْنِي، نعم، كان لومًا وعتبًا وشوقًا يفضحهُ السُّكوتُ، وما كتبتُه لم يكن لغيركَ، حتى وإن ألبستُ الكلماتِ ثوبَ العموم، حبيبي وسَيِّدي ورَجُلِي الذي لم يمتلكني أحدٌ سواه، ما زالَ فجرُنا ممكنًا، وما زالَ اللَّيلُ وإن طالَ لا يملكُ أن يقتلَ النُّورَ الذي بيننا، فليكنْ حيّي لكَ نورًا يضيءُ معالمَ طريقكَ، وليكنْ شوقكَ لي ناراً تُنقّي لا تُحرق، فالنّارُ إن كانت من حنينٍ صادقٍ صنعت من الرَّمادِ لقاءً جديدًا، عدْ إلى نفسكَ

مطمئنًا، فما بيننا لم يُكتبْ له أن ينتهي بمنشورٍ، ولا أن يموتَ بتاريخٍ على هامشِ صفحةٍ، ويبقى الأملُ ويبقى اللقاءُ، ما دامَ القلبُ يذكرُ والروحُ لا تنسى .

سِتُّ النِّساءِ محبوبتُكَ .

رسائلُ الخَريفِ والشِّتَاءِ .

حَبِيبَتِي، حلمي الجميلَ الذي بخلتْ عنّي به الأيامُ، منذُ تَوقُّفكِ عن الرَّد على رسائلِ البريدِ الإلكترونيّ وقد قرَّرتُ التَّوقُّفَ عن إقحامِ نفسي في حياتكِ حتى لا يتحوَّلُ ما كان حبًّا جارفًا إلى حدثٍ مزعجٍ يُعكِّرُ صفوكِ الحالمِ، و اكتفيتُ بالطُّقوسِ اليوميّة بمتابعةِ صفحتكِ في صمتٍ ما بين حسرةٍ وألمٍ لا يتوقَّفُ عن جرحٍ نازفٍ يَجتَّرُكلَّ ذكرى جميلةٍ وحياةٍ بروعةِ أحلامِ المساءِ وبراءةِ الطُّفولةِ الغريبةِ بين أحقادِ البشرِ، حتى زارتني أمُّكِ في أحلامي وكانت جالسةً يبدو عليها المرضُ في مجلسِ نساءٍ، أقبلتُ عليها فابتسمتْ رغمَ مرضِها، أمسكتُ بيدها وخاطبتها؛ أمّي، فقبضتْ على يدي وقالت بصوتٍ حنونٍ: اطمئنْ، قررتُ بعدها أن أعاودَ الكتابةَ حتى ولو لم أرسلها لكِ، فطوفانُ الشَّوقِ إليكِ لا يرحمُ، وكيف أقبلُ بعد هذا الطُّوفانِ الجارفِ والكتابةِ التِّي كانتْ لا تَتَوقَّفُ بيننا أن أرتَضِي الموتَ والسُّكوتَ؟ قررتُ أن أكتبَ لكِ كما كنتُ كلَّ يومٍ، وأخبركَ عنِّي كما كنَّا، نتشاركُ حياتَنا التِّي تمنَّينا ألَّا يحطّمها الفراقُ، نعم سأكتبُ لكَ

وأحْتَفِظُ برسائلي التِّي لا أرسلها إليكِ لعلَّ القدرَ يجمعُ بيننا يومًا ما، ويكونُ أرحمَ بي من قسوتِكِ وهجركِ وصدودكِ، ووقتُها سأعاتبكِ وأرسلها لكِ جميعَها لتقرئي كيف كنتُ في بُعدكِ أعاني ما بين بسمةِ أملٍ وقسوةِ ألمٍ .

أجابت حبيبتي

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا مَن سَكَنَ ضلوعي و أيقظَ مشاعري، إن كففتُ عن الرّدِّ فما كفَّ قلبي عن سماعكَ، وإن صمتُّ فصمتي لم يكنْ نسيانًا، بل خوفًا على حبّنا أن يتحوّلَ بِعَيْنَيْكَ إلى ثقلٍ لا تُطيقه، أيقنتُ أنَّكَ تتابعني بصمتٍ، فأنت لم تفارقني طرفةَ عينٍ رغمَ قسوةِ ما انتهتْ إليه قصَّتُنا وبشاعةِ الغدرِ الذي تعرَّضنا له، وألقى بحبّنا بعاصفةٍ مُدَّمِرةٍ وفُوهةِ بركانٍ لا يرحمُ ولا يندمُ، كنتُ أشعرُ بكَ، بروحكَ، بشوقكَ، وهمسكَ ودفءِ أنفاسكَ وطوفانِ حبُّكِ الهادرِ، أكتب وأراكَ بكلِّ سطرٍ لم أجرؤ على إرساله لك في بعادنا، لعلَّ أمّي تألمتْ لأوجاعي وآلامي فقررتْ أن تزوركَ بأحلامكَ لتقولَ لكَ ما عجزتُ أنا عن قوله: اطمئنْ، فأنا ما زلتُ

هنا، بالمكانِ الذي تركتني فيه، لا تحتفظ برسائلكَ لكَ وحدَكَ، فالقدرُ إن كانَ رحيمًا بنا يومًا، سيجمعُ بيننا، وتقرأُ عليَّ كلَّ ما كتبتَ، و أقرأُ عليكَ كيفَ كنتُ أحاربُ الشَّوقَ باسمكَ، اكتبْ لي حتى لو لم تُراسلني، فطوفانُ الشّوقِ لا يُسكتهُ إلَّا الحرفُ ولهيبُ الكلماتِ، و أنا أريدُ أن أعرفَ كيفَ كنتَ في بُعدي؟ كيفَ ضحكتَ؟ وكيفَ بكيتَ؟ وكيفَ بقيتَ لي رغمَ كلِّ شيءٍ؟ فأنا لم أرضَ لكَ الموتَ والسُّكوتَ، ولا أرضى لنفسي أن تعيشَ دونَ صوتِكَ في أيامي، اكتبْ لي حبيبي، أكتب لي يا رَجُلِي، فأنا أقرأكَ ولو من بعيدٍ، مع كاملِ حُبِّي وإخلاصي، سِتُّ النِّساءِ مَحبُوبَتُكَ .

العَشْرِيَّةُ السَّوداءُ .

حَبِيبَتِي، قاربنا على شهرٍ من الفراقِ، مَرَّكأنَّه سنواتٍ كئيبةً لا أفيقُ من كابوسِها المَريرِ، وكأنَّنا لم يكن بيننا شيءٌ يجمعنا يومًا ما، وكأنَّنا ما تعاهدنا على حبٍّ لا يُفرِّقُه إلَّا الموتُ! حتى متابعتي لحسابكِ وأخبارِكِ بصمتٍ حرمتني منه! كلُّ ما أتمنَّاه أن تكوني بخيرٍ وعافيةٍ، صباحكِ جميلٌ بجمالكِ ورقَّتِكِ يا سلطانةَ قلبي وحياتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، لا تقلْ العَشْرِيّةُ السَّوداءُ على شهرٍ واحدٍ من البعدِ، فقلبي ما زالَ يعدّ أيامَه بكَ، وإن طالت عليكَ فهي عندي لحظةٌ ناقصةٌ بدونكَ، ما بيننا لم ينتهِ ليُمْحَى كأنَّ لم يكنْ، عهدُنا ما زالَ قائمًا، ولو قسَت الدُّنيا وفرَّقتنا الظّروفُ، و أنا ما حرمتكَ عن قصدٍ، لكنِّي كنتُ أخافُ أن يكونَ قربِي لكَ وجعًا يزيدكَ ألمًا، اطمئنّ، أنا بخيرٍ ما دمتَ تسألُ عنِّي، وصباحي لا يصيرُ جميلاً إلَّا إذا عرفتُ أنّكَ بخيرٍ و أنَّكَ ما زلتَ

تذكرني، لا تُطفئُ نورَ الأملِ، فما دامَ الحبُّ حيّاً فينا، فاللِّقاءُ آتٍ لا محالةَ.

سِتُّ النِّساءِ مَحبُوبتُكَ.

الأحبابُ دائمًا يرحلون .

حَبِيبَتِي وحُورَعَيْنِي التِّي انتزعوا روحي منِّي بانتزاعكِ، كنتُ قديمًا أسخرُ من عبارةٍ معينةٍ وأعتبرها نوعًا من اليأسِ والإحباطِ، لكنْ الآنَ كم أوجعتني وشعرتُ بمعناها ومدى قسوتها التِّي تُطاقُ " كُنْ لي غريبًا، لأنَّ الأحبابَ دائمًا يرحلون" .

صباحكِ جميلٌ على قَدْرِ جمالكِ ورقَّتِكِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا منْ بحبّهِ غَرقي ونجاتي، لا تجعلْ من وجعِ البعدِ قاعدةً تكتبُ بها نهايتَنا، نعم، أوجعتني العبارةُ كما أوجعتكَ، لكنَّها لا تليقُ بنا، أنا لستُ غريبةً عنكَ حتى أرحلَ كالغرباءِ، وما كانَ بيننا أكبرُ من أن يهزمهُ خوفٌ أو سوءُ ظنٍّ، الأحبابُ يرحلون إذا جعلوا الرَّحيلَ خيارًا، ونحنُ ما جعلنا الحبَّ يومًا خيارًا، بل قدرًا نعيشُ به، فلا تكنْ لي

غريبًا كي لا أُجبرَعلى الرَّحيلِ، كنْ لي كما كنتَ دائمًا؛ سندًا وبيتاً وموطنًا لا أجدُ الرَّاحةَ إلَّا فيه .

صباحكَ أجملُ لأنَّكَ ما زلتَ تذكرني، ولأنَّ قلبي ما زالَ يخفقُ باسمكَ رغمَ كلِّ شيءٍ، أحبُّكَ يا أنا .

رسالةُ اعتذارٍ .

حَبِيبَتِي، حورَ عَيْنِي وجَنَّتِي، ملامحَ الجمالِ والخيرَ بحياتي، و أنتِ التِّي جئتِ رائعةً وجميلةً كأنّكِ رسالةُ اعتذارٍ من الحياةِ عن كلِّ ما اقتَرَفَتْه معي قبلكِ، لكنَّها لا تلبثُ أن تعودَ لطبعها ولؤمها، وتحرمنا ممَّن تعلَّقتْ بهم أرواحُنا وتسرَّبتْ تفاصيلُهم في دمانا وكياننا حتى صاروا لنا كأنفاسِنا التِّي تُبقينا على قيدِ الحياةِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، ليس بين المحبين اعتذارٌ، لوكنتُ أنا اعتذارَالحياةِ لك، فأنتَ كنتَ الغفرانَ الذي جعلني أستحقُّ أن أُهدَى إليكَ.

لا تلمْ الحياةَ على قسوتها وحدَها، فأنا أعرفُ أنَّها سرقتكَ منّي، كاحتلال قلبك قلبي، قلبي الذي وهبته لك طوعًا وحصرًا دون ندمٍ أو الوقوعِ بدائرةِ المصالحِ الدُّنيويّة الوضيعةِ، نعم تعلّقتْ أرواحنا ببعضها حتى صارتْ أنفاسُنا واحدةً، فكيفَ تريدُ الحياةَ أن تُفرّقَ بينَ

ما صارَ لا ينفصل؟ لا أعدكَ أنَّ الحياةَ ستكفُّ عن لؤمها، لكنِّي أعدكَ أنَّي ما دمتُ حيّةً فلن أكونَ سببًا في زيادةِ وجعكَ، بل سبباً يجعلكَ تقول: "كانت تستحقُّ كلَّ هذا الانتظار"، ابقَ لي، ولا تعتذرْ عن شيءٍ لم تقترفه، فأنتَ لم تخطئ أو ترتكبْ جُرْمًا، أنتَ فقط أحببتَ بصدقٍ بزمنٍ لا يعرفُ قيمةَ الصِّدقِ والوفاءِ، حبيبتُكَ التِّي لا حياةَ لها بدونكَ يا سَيِّدَ الرِّجالِ .

لا يختفي وقتَ الانهيارِ .

لو كان حبّي لكِ حَبِيبَتِي من هذا النَّوعِ الرَّديءِ المُتلّونِ ما كنتُ أشقى بحبّكِ ليلَ نهارَ، لو كان عشقي لك تقلبًا من تقلّباتِ الفصولِ ونزوةً من نزواتِ النّفسِ ما كنتُ أعاني كلَّ لحظةٍ من لحظاتِ حياتي وأرزحُ تحت أغلالِ الهوى وتبعاتِ التَّعلُّقِ بروحك وهواكِ، لكنّكِ حالةٌ فريدةٌ من الصِّدقِ والتَّلاصقِ الذي لا يتضعضعُ ولا ينفكُ مهما كانت مظاهرُ البعدِ والانكسارِ، ومهما علتْ موجاتُ الهجرِ والانهيارِ، حبيبتي مهما مرَّت الأيامُ ومهما طال بنا البعادُ سيظلُّ قلبي كما هو يحيا بحبّكِ ويُخلصُ لهواكِ ويتمسَّكُ بفجرِ الأملِ وحلمِ اللقاءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، حبُّكَ لي ليس تلونًا ولا نزوةً، ولهذا أحببتكَ، لأنَّك ثابتٌ حيثُ يتغيَّرُ الجميعُ، لو كان عشقُكَ فصولاً لَمَرَّ وذَهَبَ مع الخريفِ، لو كان نزوةً لانطفأ مع أوَّلِ انكسارٍ، لكنَّكَ أنتَ الصِّدقُ الذي لا يخونُ،

والتَّلاصقُ الذي لا ينفكُّ، حتى لو علتْ موجاتُ البعدِ واشتدَّ الهجرُ، رَجُلِي وسَيِّدي، أنا لا أختفي وقت انهيارك، بل أكونُ أقربَ لأنَّني رأيتُكَ في أصدق حالاتكَ حين انكسرتَ، فازددتُ بك تعلُّقًا، وازددتُ لكَ وفاءً، مهما طال البعادُ، ومهما طالت الأيامُ، قلبي لن يكونَ إلَّا لكَ، يحيا بِحُبِّكَ، ويُخلصُ لهواكَ، ويتشبَّثُ بفجرِ لقائنا كأنَّه يقينٌ لا شكَّ فيه، أنتَ حالتي الفريدةُ، وأنا بكَ أكتملُ، أيَا حبيبَ قلبي ونبضَ روحي ويا عشقي المُتَغَلغِلَ بكلِّ أركاني وشرايني ودمي، نم بين أضلعي مطمئنًا، فقلبي لكَ وحدَكَ حبيبي، أحبُّكَ يا أنا .

سَتُزْهِرُ يَومًا ما .

" يومًا ما سَيُزْهِرُ اللهُ في قلبك ما أذبلته الحياةُ، حتمًا ستتفتَّحُ أزهارُها يومًا ما ."

وهل تَظُنِّين حبيبتي أنَّه لولا هذا الأملُ الذي تتعلَّقُ به روحي وتتشبّثُ به حياتي هل كنتُ أستطيعُ مواصلةَ الصُّمودِ والحفاظَ على ما تبقّى من مظاهرِ الثّباتِ وادعاءِ البقاءِ على قيد الوجود؟ لولا الإيمانُ باللَّهِ أنَّه أرحمُ بنا من أنفسنا لمتنا غمًا وهمًا، لولا ثقتُنا في رحمته وعدلِه ورعايتِه لنا لفقدنا هويتنا وتناثرت من تحت أقدامنا الدُّروبُ، ما زلتُ على ثقةٍ حبيبتي أنَّها ستزهرُيومًا ما، ويضمُّنا بستانُ الحبِّ الذي ازدهر في قلوبنا رغمَ قساوةِ صحراءِ القلوبِ وشقاءِ نفوسٍ لا تسعدُ إلَّا بشقاءِ الآخرين .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، نعم سيزهرُ، لأنَّ اللهَ لا يخذلُ قلبًا تعلَّق به، ولا يضيعُ أملاً سقته روحٌ مؤمنةٌ، لولا هذا الأملُ الذي نحمله معًا لكنتَ و أنا رمادًا ذرَّته الرِّيحُ، لولا يقينكَ برحمته، ولولا تشبُّثي بيدكَ لضاعتْ دروبنا

وتناثرتْ خطانا، أنا أرى بستانَ حبّنا ينبتُ الآن، ينبتُ رغمَ صحراءِ القلوبِ القاسيةِ، ورغمَ النُّفوسِ التّي لا تسعدُ إلّا بشقاءِ غيْرِها، يُنبتُ لأنَّكَ أنتَ الماءُ و أنا التُّربةُ، واللهُ هو الذي يأمرُبالحياةِ، فلا تخفْ على ما تبقَّى من ثباتكَ، أنا هنا لأحملَ عنكَ ما ثقلُ، وأذكِّرُكَ كلَّ يومٍ أنَّ ما بيننا لا يذبلُ، لأنَّ ما زرعه اللهُ بقلوبنا لا تميته الأيامُ، وسيأتي اليومُ الذي نقفُ فيه وسطَ أزهارِنا، نخبرُ الدُّنيا أنَّ هذا ما صبرنا لأجله، وهذا ما استحقَّ العناءَ، اطمئنْ حبيبي، أنا لكَ ولأجلكَ روحي وحياتي، أحبُّكَ يا أنا .

بين أملٍ وألمٍ .

ما بين أملٍ وألمٍ حياتي بدونكِ كَدَرٌوحُزْنٌ و مَرَارٌ، فلستُ أمْلُكُ رفاهيةَ نسيانكِ، ولا أتخيلُ حياتي بدونكِ يومًا من الأيامِ، للأسفِ حبيبتي في غيابكِ تَكَسَّرتْ روحي وتَشَتَّتْ نفسي وضاعتْ ملامحُ غدي وتَشَوَّهَ كلُّ شيءٍ أنتِ لستِ فيه، كيف السَّبيلُ غاليتي؟ أين المفرُّ؟ و أنتِ الفرحُ و أنتِ الجرحُ و أنتِ الحياةُ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أعرفُ أنَّ غيابي يكسركَ، لأنّ غيابَك يكسرني أضعافًا، أنا أيضًا لا أستطيعُ أن أتخيَّلَ يومًا ما بدونكَ، فأنتَ نبضي و أنتَ معنى أيامي، بدونكَ يُصبحُ كلُّ شيءٍ باهتًا ولا طعمٌ له ولا لونٌ، لكن أيَا عمري؛ أنا معك حتى في البعدِ، وقلبي لم يغادركَ لحظةً واحدةً ، أنتَ فرحي وجرحي وحياتي كلُّها، فكيف أتركك تتألم وحدكَ؟ اصبر قليلًا، فما بين الأملِ والألمِ يولد اللقاءُ، و أنا قادمةٌ إليكَ بكلِّ ما بي من شوقٍ وحُبٍّ، تَمَسَّكَ بي كما أتَمَسَّكُ بكَ، فلا حياةَ لي إلَّا بكَ ولكَ، مع كلِّ الحبِّ والشَّوقِ والتَّعلُّقِ والانتماءِ، زوجتُكَ المُخلِصةُ لكَ دائمًا .

النَّوايا .

" عاملتُكَ بحبٍ كأنَّكَ مُخلّدٌ بقلبي، فهِمتَ طيبتي ضعفًا فآذيتني، كانَ فرقُ نوايانا شاسِعًا "

البَونُ شاسعٌ والنوايا لن تلتقي، ويبقى السؤالُ حائرًا لا يندملُ ولا ينتهي، كيفَ استأمنَّاهم على قلوبِنا يومًا ما رغمَ أنّ كلَّ الشَّواهدِ تصرخُ فينا، لا تشابَه بينكم؟ فكيف اجتمعتْ بكم تلكَ الدُّروب؟

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أتعلمُ يا رفيقَ الرُّوحِ أنَّ أكثرَ ما يؤلمني بكلماتِكَ ليس الحديثُ عن سوءِ النوايا، بل ذلكَ الحزنُ العتيقُ المختبئُ بين السُّطور، وكأنَّكَ ما زلتَ تحاولُ أن تجدَ تفسيرًا لخذلانِ الذين مرُّوا بحياتكَ، ثمُّ رحلوا تاركينَ خلفهم أسئلةً أكبرَ من الأجوبةِ، لكنَّني أؤمنُ أنَّ النوايا لا تُعرَفُ حينَ تبدأُ الحكاياتُ، بل حينَ تنتهي، فالبداياتُ يا أملي تتشابهُ كثيرًا؛ الجميعُ يتقنونَ لغةَ الودِّ، ويجيدونَ ارتداءَ الأقنعةِ التِّي نحبُّ أن

نراها، أمَّا الحقيقةُ فلا تظهرُ إلَّا حينَ تتعبُ الأرواحُ من التَّمثيلِ، وحينَ يعجزُ القلبُ عن إخفاءِ ما يُضمره، ولذلكَ لا تلمْ نفسَكَ لأنَّكَ استأمنتَ بعضَ القلوبِ يومًا، فالثقةُ ليست خطأً، والخيرُ الذي نسكنه ليس سذاجةً كما يظنُّ البعضُ، الخطأُ الحقيقيُّ أن نفقدَ قدرتَنا على الحبِّ لأنَّ الآخرينَ لم يكونوا جديرينَ به، أمَّا أنا فلم أعد أؤمنُ كثيرًا بفكرةِ تشابهِ الأرواحِ، بل أؤمنُ بشيءٍ أعمقَ؛ أؤمنُ بأنَّ بعضَ النَّاسِ يدخلونَ حياتَنا ليُعلِّمونا كيف نحذرُ، وبعضُهم يدخلونها ليُعلِّمونا كيف نحبُّ، وقليلون جدًّا أولئكَ الذين يجعلوننا نشعرُ أنَّ الدُّنيا رغمَ كلِّ ما فيها ما زالت تستحقُّ أن تُعاش، وكنتَ أنتَ من هذا القليلِ، لم أسألْ يومًا كيفَ التقتْ دروبُنا، لأنَّني كلَّما تأملتُ الأمرَ أدركتُ أنَّ بعضَ اللقاءاتِ لا تُفسَّرُ بالعقل، بل تُفهَمُ بالقلب، هناكَ أرواحٌ تشعرُ تجاهَ بعضها بألفةٍ قديمةٍ كأنَّها تعرفتْ إلى بعضها قبل أن تتعارفَ الأسماءُ والوجوه، لهذا لا تُشغِلْ قلبكَ كثيرًا بمن افترقتْ عنهم النوايا، وانظرْ إلى مَن بقيتْ نواياهُ تسيرُ إلى جوارِكَ كلَّ يومٍ دون أن تتبدَّل .

أنا هنا حبيبي، هنا بقلبي الذي اختاركَ، بلهفتي التِّي تنتظرُ صوتكَ، بيقيني الذي يخبرني أنَّ الإنسانَ قد يخسرُ أشياءَ كثيرةً في حياتهِ، لكنَّه إذا وجدَ روحًا صادقةً تأوي إليه، فقد ربحَ وطنًا كاملًا، أعدكَ يا رَجُلي أنَّني ما جئتُ إلى قلبكَ لأكونَ عابرةً كغيري، ولا لأتركَ فيه ندبةً جديدةً، بل جئتُ لأربتَ جراحِه، ولأخبرَه كلَّ يومٍ أنَّ العالمَ ليس قاسيًا كما يظنُّ، وأنَّ النوايا الجميلةَ ما زالت موجودةً، ما دامَ في هذه الدنيا قلبانِ يتحابَّانِ كما نتحابُّ نحن،

فدعْ الذينَ فرَّقتْ بينهم وبينكَ النوايا، وتعالَ إليَّ، فليس بيني وبينكَ طريقانِ متوازيانِ لا يلتقيانِ، بل طريقٌ واحدٌ كلّما تقدَّمنا فيه ازددتُ يقينًا أنَّ أجملَ ما حدثَ لي بهذه الحياةِ أنَّ الأقدارَ دلَّتني عليكَ، أحبُّك يا أنا .

تعلَّمتُ الدَّرسَ .

" احتفظْ بالذي يتَحمَّلَ مِن أجلك الكثيرَ، ويعودُ إليكَ بالرغمِ من كلِّ شيءٍ، فلن يهديكَ القدرُ هذا الشَّخصِ مرَّتين ."

عشتُ هذه الكلماتِ، وآمنتُ بتلك المقولةِ، فلا أنسى أبدًا عندما نجحوا في زرعِ ألغامِ الفراقِ بيننا، ووقعتُ في خطيئةِ آدمَ، وخرجتُ من جنَّتي، وقتَها دعوتُ اللَّه أن يردَّكِ إليَّ، وحينها لن أكرِّرَ الخطأَ مرَّتين، كنتُ أسمعُ عن مقولةِ " عضَّ على أناملِه من النَّدمِ "، وأظنُّها من بابِ التَّهويلاتِ والمبالغاتِ حتى نزفتُ دمًا من شدَّةِ ما عضضتُ إصبعي، ولم أعِ إلَّا والدِّماءُ تتناثرُ في عتمةِ المكانِ وكأبةِ قلبيَ الحزينِ، تعلَّمت الدَّرسَ حبيبتي، وقد عاهدتُ اللَّهَ ألَّا يفرِّقنا إلَّا الموتُ، ثُمَّ من بعده نعاودُ اللِّقاءَ السَّرمديّ حيثُ لا فراقَ، أحبّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، كلَّما كتبتَ عن أوجاعِك زاد ثباتُ حبِّي رسوخًا ويقينًا، يا رجلي الذي أدمنته حدَّ الهذيانِ، لقد عدتُ إليكَ و أنا أعلمُ أنَّكَ لن تتركني مرَّةً أخرى، لأنَّ من ذاق مرارةَ الغيابِ مرَّةً لا يعودُ إليه أبدًا، دعني

أخبرْكَ حبيبي أنَّ جنَّتك لم تكنْ بعيدةً عنكَ يومًا، كنتُ أنا هناكَ أجلسُ على بوابةِ السَّماءِ أنتظرُ عودتَكَ كطفلةٍ تخافُ أن يُغلقَ البابُ قبل أن يدخلَ حبيبُها، دعوتُ اللَّهَ أن يردَّك إليَّ، مع كلِّ وقتٍ دقّت فيه الأجراسُ وهتفت المساجدُ " اللَّهُ أكبرُ" أن يعيدك لي سالمًا، لا تجرحك الأيامُ كما جرحتني، والآن وقد عدتَ لي، لا تخفْ حبيبي، لن نكرّرَ الخطأَ مرَّتين، لأنَّنا تعلَّمنا أنَّ الحبَّ ليس لعبةَ أطفالٍ، بل قرارٌ يُؤَكدُ كلَّ صباحٍ، ليست مبالغةً أنَّكَ عضدتَ أناملَك حتى نزفتَ دمًا، أعلمُ كم كان ألمُك لأنّه كألمي، وكلُّ دمٍ نزفته كان يقطرُ بقلبي، فأشعرُ به كأنَّه دمي أنا ، لكن الحمدُ للَّهِ أنَّ الجروحَ تلتئمُ عندما يلمسها حبٌّ حقيقيٌّ ، أعاهدكَ حبيبي ألَّا أسمحَ لأيِّ لغمٍ أن يُزرَعَ بيننا، ولن أخرجَ من جنَّتكَ حتى لوكان العالمُ كلُّه ضدي، تعالَ حبيبي ننسَ الماضي بكلِّ ألغامِه وخطاياه، تعال نكتبْ عهدًا جديدًا ليس من مفرداته فراقٌ ، ولا ندمٌ، أحبُّكَ يا رجلي ليس لأنَّك عدتَ، بل لأنَّك حين عدتَ جئتَ بكلِّ أجزائكَ المتناثرةِ، بجروحكَ القديمةِ وندوبكَ التِّي لا تزالُ تؤلمكَ، سأكونُ مَن يمسحها عنكَ، وأعيدُ لك ضحكتكَ التي اختطفوها منك عنوةً، أحبَّك يا أنا .

دونَ أن تلتقي منَّا العيونُ .

تقول حبيبتي: هل جرَّبتَ حين تلاقي شخصًا واحدًا لا مثيلَ له، أحبارُ البداياتِ لم تجفَّ في قصة حبِّكما، ومع ذلك تشعرُ أنَّكَ تعرفه منذُ الزَّمنِ القديمِ، وحين حديثِنا، آهٍ حبيبي يا له من حديثٍ! يكفيني أن أبدأَ حديثي فيغمرني بعميقِ عشقِه وجمالِ ابتسامتِه، وكأنَّه يقول: حديثُكَ يطربني رغمَ أنَّي من فرطِ حبِّي لكَ أعلمُ بَقيَّتَه، وأراه عينَ يقينٍ، وكأنَّني سمعتُه منكَ من قبلُ، وحفظته عن ظهرِ عشقٍ، وحين أتأمَّلُ أفعالكَ وأتوه في معسولِ كلماتِكَ أتَعَجَّبُ؛ ألهذا الحدِّ هناكَ مَن يُشبِهكَ في فعلكَ وتفكيركَ؟ وكأنَّنا توءمٌ مُلتصقٌ لا تصلحُ بدون تلاصقهما حياةٌ !، كيف أوصلتني أيُّها العاشقُ الغارقُ حدَّ الثُّمالةِ في حبِّكَ وهواكَ إلى عتباتٍ ما عرفتها إلَّا على حدودِ قلبكَ حتى ما عدت أدري غيرَ أنِّي أحبُّكَ، كيف يقر أني من نبرة صوتي دون حتى أن تلتقي منَّا العيونُ ؟، كيف نال منّي هذا الماكرُ فصرتُ لا أحيا إلَّا به، وحين غيابِه يستحيلُ يومي أتونَ جحيمٍ بساعاتٍ كئيبةٍ قاتلةٍ لا يفكُ أغلالَها سوى اتصالٍ منه يحيني أو رسالةِ حبٍ تغمرني " حبيبتي، مليكتي، يا حور عَيْنِي وسِتَّ النِّساءِ "،

فيعودُ فجري ويزولُ همّي وتُحلّقُ نفسي لا تكادُ ترى الأرضَ من فرطِ حبُّي وتَعلُّقِي بمَن أعادَ لي أنثى ظننتُ من طولِ غيابِها أنَّها هي والوهمُ سواءُ، كيف السَّبيلُ إليكَ يا مَن ملكتَ نبضي وعقلي وروحي والفؤادَ؟ لم يعدْ لحياتي معنى ولا لونٌ إلَّا في حضرةِ قلبكَ أنتَ، قربكَ أنتَ، ولكن بربِّكَ أجبني، هل العشقُ يفضحُ ضحيَّتَه؟ ما بين الصِّحابِ وما بين همسٍ ووشوشةٍ وتساؤلاتٍ، ما بكِ؟ أين أنتِ منَّا؟ فأجدني أومئُ كاذبةً، إنّي هنا، معكم ... رغمَ أنّي أوقنُ أنّي بقلبكَ أنتَ بعوالمكَ أنتَ، رغمَ أنَّ بيني وبينكَ بحرٌونهرٌوقارتانِ وعدةُ آلافٍ من مقياسِ المسافاتِ، كيف أندفعُ في حضنكَ حبيبي لتحكي لكَ دموعي ولهفتي ولوعتي عذاباتِ كلِّ السِّنينَ؟ كيف السَّبيلُ دُلَّني ولقانا كطلبِ موسى ﷺ لربِّه؟ فإذا به غيرُ مسموحٍ! وحين ينفردُ بي ليلي ليمارسَ عليَّ ساديتَه، فاستجيرُ بكَ مندفعةً، وألوذُ بجسدكَ يدركني، فيسخرُمنّي ليلي؛ حبيبكِ غيرُموجودٍ! فألوذُ بدرعِ حبِّكَ وحروفَ وعدكَ، يومًا ما أغادرُ خوفي وآلامي، وأسكنُ كَفيّكَ وعَيْنَيْكَ، وبجسدكَ ألوذُ وأحتمي، حبيبي تر اني نلتقي أم تعاندي الدُّنيا كعادتِها؟ فيتسرَّبُ إلى نفسي العالقةِ بين حبّي وخوفي: أهواكَ بلا أملٍ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا مَن سكنتَ نبضي دونَ أن تلقاكَ عَيْنِي، قرأتُكَ فوجدتُني في كلِّ حرفٍ، كأنَّ روحي كانت تكتبُكَ منذُ زمنٍ قديمٍ، وتنتظرُ أن تنطقَ بهِ شفاهُكَ، عجيبٌ أمرُكَ! تُحدِّثني فأطمئنُّ، وتُبسمُ فأُشفى، وتسكتُ فأفهمُ، كأنَّ بينَنا ميثاقاً كُتبَ قبلَ أن نُخلَقَ، أقولُ لكَ صدقًا: أنتَ الذي قرأتَني من نبرةِ صوتي، وأنتَ الذي أيقظتَ أنثى فيَّ ظننتُها ماتت معَ الغيابِ، فكيفَ لا أهيمُ بكَ؟ وكيفَ لا يصيرُ غيابُكَ ليلًا لا يُطاقُ، وحضورُكَ فجرًا يُحي العظامَ وهي رميمٌ ؟ أعلمُ أنَّ بينَنا بحرًا ونهرًا وقارتينِ، وأعلمُ أنَّ القدرَيُعاندُ لقاءَنا كما حُرِمَ موسى ﷺ رؤيةَ ربِّه، لكنَّ قلبي لا يُقيمُ وزنًا للمسافاتِ ما دامَ ينبضُ باسمِكَ، ولا يُبصرُ أرضًا ما دامَ مُعلَّقًا بسمائِكَ، فإنْ سألوكَ عنّي بينَ الصحابِ فقلْ لهم :هيَ هنا بجسدِها، ولكنَّ روحَها عندَكَ، أسيرةُ حبِّكَ، هاربةٌ إليكَ من كلِّ خوفٍ وليلٍ، أمّا سؤالُكَ؛ هلِ العشقُ يفضحُ ضحيَّتَه؟ فاسمعْ منِّي: نعم، يفضحُها، لأنَّ العينَ تكذبُ والقلبَ لا يستطيعُ، وأنا فضحَني قلبي، فأنا لكَ، بكَ، وفيكَ، وإنْ حالتِ الدُّنيا بينَنا، فاصبرْ عليَّ يا رَجُلي، كما أصبرُ

أنا على شوقي إليكَ، ويومًا ما، سيكسرُ اللّقاءُ هذا السِّجنَ، وتسكنُ دموعي في حضنِكَ، فأقولُ لكَ: الآنَ فقط عرفتُ معنى أن أحيا أهواكَ بكلِّ أملٍ، رغمَ كلِّ خوفٍ، أحبُّكَ يا ملاذي وقمرَ ليلي وشمسَ عمري التّي لا تغيبُ .

إن جيت في بالك .

قالتْ حبيبتي:

إن جيت في بالكَ أو خيالكَ أو طيفي عدَّى عليك ملامحه و اترسم .

اكتبلي واشرح قد إيه شوقكَ وحبُّكَ نار وقايدة ما بين ضلوع راح تنقسم؟

لو قلت: إنّي من يوم ما حبُّكِ ارتوى منه حنيني ولهفتي عمري ما جه في بالي " وحشاني " أو يعاودني الألم .

وازاي في يوم أشعر بوحشة أو بغربة و أنتِ كلّي و أنتِ قمري ونور طريقي وجنتي ؟، مين اللي حاسس فينا إنّه بيوحش التَّاني وكلّي ملك إيدكِ وحبُّي ليكِ عالي مقامه كالعلم .

اكتب: بحبك؟ مش كفاية لقلب من بعد وجعه معاك بيضحك و ابتسم.

ولا حتى كلّ كلام تحويه المعاجم يكفيني، وازاي يكفّي يا روح لروحي، وحلم غالي صالحني على الدُّنيا أخيرًا و انسجم .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، إن جئتُ ببالكِ فاعلمْ أنّكَ ما فارقتَ خاطري لحظةً منذُ استوطنتَ قلبي وحياتي، أنتَ بخيالي، بنبضي، بسكوني، أقولُها ولا أملُّ: أحبُّكَ، لكنَّ " أحبُّكَ " هذهِ أضيقُ من سعةِ ما بقلبي لكَ، فقدْ أحياني حبُّكَ بعدَ وجعٍ، وأضحكني بعدَ دمعٍ، وصالَحني على الدُّنيا بعدَ خصامٍ طويلٍ، غيرَ أنّي اليومَ مُتعَبةٌ أيَا رَجُلِي وسَيّدي، مُتَعَبةٌ من غربةٍ أشعرُبها وأنتَ قريبٌ، ومنهَكةٌ من صبرٍ أخفيهِ لئلّا أثقِلَ عليكَ، أنتَ نوري وطريقي وجَنَّتي، فكنْ لي سكنًا لا يزولُ و حضورًا يُطمئنُ روْعِي ومخاوفي، وحضنًا يُعيدُ إليَّ نفسي، لا أريدُ فصاحةَ المعاجمِ، أريدُ همسةً حانيةً منكَ توشوشني؛ أنا أراكِ ، أشعرُبكِ، ولن أتركَكِ .

أحبُّكَ، ويغمرني حبُّكَ أكثرَ حينَ تُشعرُني أنّي لستُ وحدي في تعبي ووجعي وآلامي، فارجعْ إليَّ لا بالحرفِ وحدَه، بل بالقلبِ والدِّفءِ الذي يجعلُ ضلوعي لا تنقسمُ، أنا حلمُكَ الجميلُ، فأيقِظْهُ برفقٍ، ليبقى جميلًا لا ينتهي، أحبُّكَ يا أنا .

وتأخذني إليكَ .

" تعالَ نتظاهرْ أنَّ المسافاتِ التِّي بيننا انكمشتْ وأصبحتْ تُقاسُ بأطرافِ أصابِعنا، وأنَّ مدينتي ذابتْ على حدودِ مدينتِكَ، تعالَ ، ولتمدَّ يدكَ وتأخذني إليكَ ."

حَبِيبَتِي وحُورَ عَيْنِي وجَنَّتِي، اشتقتُ إليكَ شوقًا خجلتْ منه كلُّ المَسَافَاتِ التِّي تحولُ بيني وبينكَ، سحقًا لها تلكَ الأماكنُ التي خلتْ منكِ غاليتِي، سحقًا لفرحةٍ مَبْتُورةٍ لا تستحقُّ اسمَها، يظنُّها الرَّائِي أملًا ونشوةً وحياةً، فإذا بها سرابٌ بقبعةٍ يحسبه الظَّمآنُ ماءً، اشتقتُ إليكِ يا سِتَّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أمَّا أنا، فأشتاقُ إليكَ حتى صارَ الحنينُ وطنًا أسكنه، وصارتْ المسافاتُ تخجلُ من قسوتِها كلَّما مرَّ اسمُكَ بخاطري، ليتَ للأشواقِ أجنحةٌ، لأتيتكَ قبلَ أن تكتملَ هذه الرِّسالةُ، ولأخبرتُكَ أنَّ

الأماكنَ لا تُشبه الحياةَ إلَّا بوجودكَ، وأنَّ الأيامَ مهما ازدانت، ينقصها وجهُكَ وصوتُكَ .

ابقَ قريبًا من قلبي كما أنتَ، فما بيني وبينكَ عهدٌ لا تهزمه المسافاتُ، ووعدٌ بأنَّ أوّلَ لقاءٍ سيعوّضُ كلَّ هذا الغيابِ، وسأراك كما تمنَّيتكَ دائمًا؛ وطنًا أعودُ إليه، لا رحلةً أخشى نهايتَها .

قراءةٌ في " وتأخذني إليكَ " .

الأديبَ العاشقَ، كلماتُكَ تنبضُ بصدقِ الشَّوقِ الذي يتجاوزُ حدودَ الجغرافيا ليرسمَ جسورًا من لهفةٍ ووجدانٍ، فالتَّعبيرُ عن المسافاتِ التِّي تذوبُ بأطرافِ الأصابعِ صورةٌ شاعريةٌ بديعةٌ تُتَرجمُ رغبةَ القلبِ في إلغاءِ الفوارقِ المكانيةِ لصالحِ قُربِ الرُّوحِ، إنَّ نعتكَ لها بـ" سِتِّ النِّساءِ " و" حورِ العَيْن " يعكسُ فيضًا من العاطفةِ التِّي تجعلُ من حضورها وطنًا، ومن غيابها سرابًا لا يروي ظمأَ الرُّوحِ، وهذا هو جوهرُ الحبِّ الحقيقيِّ الذي يرفضُ الفرحَ المبتورَ، ويطلبُ الكمالَ في رؤيةِ المحبوبِ .

بوركت هذه المشاعرُ التِّي تجعلُ من الأدبِ مرآةً حقيقيّةً لصدقِ الحبِّ، وزادك اللهُ من هذا الودِّ الجميلِ .

يا من جعلتَ من الحروفِ مرافئًا .

تأوي إليها الرُّوحُ في ترحالِ .

مددتَ يدًا للشَّوقِ تكسرُ حاجزًا .

وتُذيبُ بُعدًا باتَ كالجبالِ .

سحقًا لمسافاتٍ تباعدُ بيننا .

إن كانَ قلبُكَ في الهوى بَلالي .

ستظلُّ " ستُّ النِّساءِ " جنَّةَ عمرِهِ .

نبضًا يضوعُ كأطيبِ الآمالِ .

الشاعر والأديب والناقد السوري:

أكرم وحيد الزرقان .

هنا ملاذُكِ وموطنُكِ .

قالت حبيبتي :

سأظلُّ تلكَ التِّي تؤذيها كلمةٌ، و تشرحُ صدرَها دعوةٌ، تخجلها كلمةُ مديحٍ، وإن حلَّ الحزنُ بساحتِها يومًا هربَتْ إلى عزلتِها تلملمُ شتاتَ نفسِها، وتفكِّرُفي حالِها .

سأظلُّ تلكَ التِّي يرفرفُ قلبها إن قرأت شيئًا تحبُّه أو شاهدتْ مشهدًا أعجَبَها، نعم، سأظلُّ كما أنا .

أجبتها .

وأرادت أن أنشرَ الطُّمأنينةَ بربوعِ قلبِها، وأشارت إلى قلبي؛ هنا ملاذُكِ وموطنُكِ غاليتي، تَبْقَيْنَ ما بقي الزَّمانُ مليكتي، تَبْقَيْنَ أنتِ حَبِيبَتِي يا سِتَّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، وكيف لا يطمئِنُ قلبي، وقد جعلتَ له موطنًا بين أضلعك؟ فإن كان قلبُكَ ملاذي، فأنتَ سكينةُ روحي، وأماني التِّي لا أرجو بعدها أمنيةً، فابقَ لي كما أنتَ، دفئًا لا يخبو، ووطنًا لا تغادره روحي، فأنتَ وحدَكَ الرَّجلُ الذي اختاره قلبي، وسيبقى اختياره ما بقي الزَّمانُ.

أجبتها .

وإن ظنَّتْ نساءُ العالمين أنَّ الرَّجلَ هو ملاذُها وملجأُها، تَبْقَيْنَ أنتِ مَن مَلَكَ الحقيقةَ وسِرَّها، تَبْقَيْنَ أنتِ مَن أدركتْ أنَّ الأمانَ كروحٍ وجسدٍ لا يقومُ أحدهُما دونَ الآخرِ، فإن كنتَ أنا أمانُكَ، فأنتَ ضلعي الحائرُالذي عادَ لصدري، فأتَمَّ نُقصاني و أقامني واحتواني، صِنْوَانٌ لا يفترقان مهما قستْ عليهما الدُّنيا ووضعتْ في طريقهما المُستحيلاتُ، فلا مستحيلَ أعترفُ به سوى أن تحولَ بيني وبينكِ صروفُ الدَّهرِ ولياليِ الهجرِوالنِّسيانِ .

١ – قراءةٌ في " هنا ملاذُكِ وموطنُكِ " .

أيُّها الأديبُ العاشقُ، لقد نقلتَنا في هذه السُّطورِ من كتابكِ " إلى السَّيِّدةِ راءٍ " إلى عالمٍ يذوبُ فيه الفارقُ بين الرُّوحِ والجسدِ، حيثُ تتحوَّلُ الكلماتُ إلى ملاذٍ آمنٍ وموطنٍ دافئٍ يلملمُ شتاتَ النَّفسِ، إنَّ هذا الحوارَ البديعَ بين " تلكَ التِّي ترهفها الكلمةُ " وبين مَن يراها سكينةً لروحه، يُجَّسدُ أسمى صورِ التَّكاملِ الإنسانيّ، ففي وصفكَ للِّرجلِ " بالضلعِ الحائرِ" الذي عادَ إلى صدرِمَن يحبُّ، لفتةٌ فلسفيةٌ رائعةٌ تعيدُ الاعتبارَلمعنى الاحتواءِ والكمالِ، إنَّ هذا النَّصَّ يفيضُ صدقًا وعذوبةً، ويحملُ القارئَ على التَّصديقِ بأنَّ الأمانَ ليس مُجّرَّدَ شعورٍ، بل هو حالةٌ من الوفاءِ التِّي تتحدَّى المُستحيلاتِ، وتَجعلُ من الحَبيبِين صِنوانِ لا يفرقهما دهرٌ ولا هجرٌ، دمتَ قلمًا يغزلُ من مشاعرِ المُحبِّينَ حكايةً لا تغيبُ، ودمتَ مُبدعًا يُوثِّقُ في كتبهِ معاني الحبِّ بصدقٍ وبراعةٍ .

يا علاءُ يا من ببوحُ الحبَّ قد بَهرَا .

صغتَ الحكايةَ للأرواحِ كالشَّجَرا .

قلبٌ غدا مأوىً لامرأةٍ سكنتْ .

بين الأضالعِ لا خوفًا ولا كَدَرا .

صنوانِ في عالمِ العشاقِ قد نُسِجا .

رغمَ الظُّروفِ، وهجرِ الدَّهرِ ما انكسرا .

ما أجملَ الوعدَ حينَ الرُّوحُ تحفظُهُ .

والرَّجلُ في حِضنِ مَن يهوى غدا القَدَرا .

الشاعر والأديب والناقد السوري:

أكرم وحيد الزرقان .

٢- قراءةٌ في " هنا ملاذُكِ وموطنُكِ " .

وهل يُخلقُ الوطنُ من جدرانٍ وسقوفٍ؟ كلا، إنَّ الوطنَ الحقيقيَّ هو ذلكَ القلبُ الذي لا يُطالبُكَ أن تكونَ قويًّا على الدَّوامِ، بل يسمحُ لكَ أن تنهارَ بين يديه دونَ أن يُسقِطَ عنكَ هيبتكَ، أوجعني هذا الاقتباسَ؛ لأنَّه لم يتحدَّث عن الحبِّ بوصفهِ شغفًا، بل بوصفهِ سكنًا، ولم يُصوِّر الأمانَ مكانًا نعودُ إليه، بل إنسانًا نعودُ فيه إلى أنفسِنا بعد أن تُتعبنا الحياةُ، فما أثقلَ أن يمضي الإنسانُ عمرَه يبحثُ عن وطنٍ، ثم يكتشفُ أنَّ الوطنَ لم يكن أرضًا، بل قلبًا احتواه حين ضاقت به الأرضُ بما رحبتْ، ولعلَّ أعظمَ الحبِّ ليس أن يقولَ أحدُهما للآخر: " هنا ملاذُك " بل أن يعيشا عمرًا كاملًا، فلا يشعرُ أيٌّ منهما أنَّه كان غريبًا يومًا، سلامٌ على القلوبِ التِّي تُعيدُ بناءَ الإنسانِ من الدَّاخلِ، حتى إذا نظرَ إلى نفسِه بعد أعوامٍ، قال: " ما عدتُ كما كنتُ ... منذ أحببتُكِ .

الشاعرة العراقية: بنين فراس .

لعنةُ الحبِّ أم لَعْنَتِي ؟

وقالتْ حبيبتي: كُنّا نُشبه الغيمَ والمطرَ، يحملُ أحدُنا الآخرَ، لكن لا يملكانِ موعدًا واحدًا، فبعضُ الأقدارِ تكتبُ الحبَّ كاملًا وتحذفُ منه اللِّقاءُ.

فأجبتها.

ما أصعبَ أن تظلَّ حائرًا مُرتبكًا لا تملكُ إلَّا حرفًا ضيِّقًا، يسلبكَ قدراتكَ ويئدُ آمالكَ، فلا يهبكَ سوى خَمْطٍ و أثِل وشيءٍ من سدرٍ قليلٍ، تنتفضُ بلا ثورةٍ، تزرعُ بلا ثمرةٍ، تعشقُ بلا لقاءٍ، توشوشُ باطنَ الأرضِ بلا حصادٍ، يهزمكَ الحبُّ مرارًا وتكرارًا بلا انتصارٍ، فتعودُ ككلِّ مرَّةٍ يئنُّ صدرُكَ، وينهارُ كتفُكَ بأثقالِ الخيبةِ والحسرةِ ومزيدٍ من وجعٍ و أنينٍ، أهي لعنةُ الحبِّ؟ أم أنَّني لعنةٌ قدريَّةٌ على كلِّ مَن يدنو منِّي ويعلقُ بقلبي وشَرَكَه؟

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، ليستْ لعنةُ الحبِّ، ولا أنتَ لعنةٌ على أحدٍ، بل هي الأقدار حين تؤجِّلُ ما تشتهي قلوبُنا، وتختبرُ صبرها بما لا تحتمله، فالحبُّ لا يُقاسُ بنهاياتِه، بل بما يتركه فينا من عمقٍ ونُبلٍ وإنهاكٍ، وسيأتي يومٌ تدركُ فيه أنَّ كلَّ هذا الوجعِ لم يكن إلَّا طريقًا إلى قلبٍ يعرف كيف يبقى؟ لا كيف يرحلُ ؟

لستَ ملعونًا حبيبي، ولكنَّ بعضَ القلوبِ خُلقت لتشعرَ بعمقٍ يفوق احتمالَها، فتدفعُ ثمنَ صدقِها وجعًا، وما يهزمك ليس الحبُّ، بل قسوةُ الشَّوقِ ولوعةُ الانتظارِ، فلا تتهم روحك بما اقترفته الأقدار، فالشَّمسُ لا تُلام لأنَّ الغيمَ أخفى نورَها، صبرًا حبيبي، فلا بد لنا من لقاءٍ، أحبُّكَ يا أنا .

من راءٍ إلى عينٍ .

إلى عين يا كلَّ البصرِ والبصيرةِ، يقولونَ أنّي " راءٌ "، و أنتَ " عينٌ "، وما بينَ الحرفينِ خُلقتْ لغةٌ لا يفهمُها إلا قلبٌ جرّبَ كيفَ يكونُ البُعدُ قراءةً، والقربُ قصيدةً، بصفتي " راءٌ " أراكَ حتى لو أغمضتُ الدُّنيا عَيْنَيْها، وبصفتكَ " عينٌ " رأيتَني قبلَ أن أُولدَ في لغتكَ، فدعني أُخبرُكَ سِرًّا، و أنا أستأمنُ الوسيطَ عليهِ؛ كلّما تهجّى المطرُ اسمكَ على نافذتي، قلتُ لهُ: " تمهّلْ، فاسمهُ لا يُقرأُ على عجلٍ، اسمهُ يُتلى كآيةٍ في محرابِ الشوقِ، وإن سألوكَ عنّي يومًا، قل لهُم: هيَ تلكَ التّي تراهُ حينَ يغيبُ، وتشتاقهُ حينَ يحضرُ، لأنَّ بعضَ الحُبِّ لا تكفيهِ المسافاتُ، ولا تشرحهُ الجهاتُ، فاطمئن يا " عينٌ "، " راؤكَ " لم تتعلَّمْ الهجاءَ إلَّا على يديكَ، ولن تنطقَ باسمٍ بعدكَ، إلَّا إذا كانَ يُشبهك.

إلى " راءٍ " وإلى " عينٍ "، حمّلتموني رسائلَ من نورٍ، فصِرتُ بينكما خيطَ ضوءٍ لا يُرى، لكنّهُ يَصِلُ، يا " راءٌ " سلّمتُ " عيْنًا " همسكِ كما هو، لم أُبدّلْ حرفًا، ولم أخُن دمعةً كانت بينَ السُّطورِ، رأيتُ كيفَ ابتسمَ قلبُه

حينَ قرأكِ، فاطمئنّي، رسالتكِ وصلتْ إلى حيثُ يجب، ويا " عينٌ " أودعتُ " راءً " نظرةَ قلبِكَ، تلكَ التّي لا تُكتبُ إلّا بالصَّمتِ الجميل، وقد قرأتْها وازدادتْ بكَ يقينًا، مهمّتي انتهتْ هنا، سأُعلّقُ قلمي على بابِ الحكايةِ وأمضي، لأنَّ بعضَ القصصِ تكتملُ حينَ ينسحبُ الرَّاوي، ويتركُ للبطلينِ أن يُكملا المشهدَ وحدَهُما، فكونا بخيرٍ، واذكُر اني إن مَرَّ المطرُيومًا، أوإن فاضَ الحبرُشوقًا، وقولا: " مَرَّمن هنا وسيطٌ كانَ أمينًا على الحُبِّ ."

الشّاعرةُ العراقيةُ: بنين فراس .

على هيئة رسائلَ .

ليستْ كلُّ الحكايات تُروى لأنَّها حدثت، ولا كلُّ الرَّسائلِ تُكتبُ لأنَّ أصحابَها غائبون، ثَمَّةَ كلماتٌ تعيشُ أكثرَ من أصحابها ، وتبقى معلَّقةً بالهواء كالعطرِ، لا يُرى أثرُه، لكنَّه يملأ المكان، وحين وقعتُ على هذه الحروفِ، لم أرَ رجلًا وامرأةً يتبادلان الحبَّ فحسبُ، بل رأيتُ عمرًا كاملًا يُدوَّن على هيئة رسائلَ ، وقلبيْن تعلَّما كيف يهزمان المسافاتِ، وكيف يُحوِّلانِ الزَّمنَ الطَّويلَ إلى وردةٍ محفوظةٍ بين صفحاتِ الرُّوحِ، كان بين الرَّاءِ والعَيْنِ وطنٌ كاملٌ، وكان بينهما من الشَّوقِ ما يكفي ليملأ أعوامًا من الانتظارِ، ومن الوفاءِ ما يجعلُ الكلماتِ أقلَّ من أن تصفَه، فجمعتُ هذه الرسائلُ كما يجمعُ العابرُ شذراتِ الضَّوءِ، لا لأحفظَ قصَّةَ حبٍّ وحَسبٌ، بل لأحفظَ أثرًا إنسانيًّا نادرًا، أثرَ قلبين آمن كلٌّ منهما بالآخر حتى صار له وطنًا وسكنًا ونجاةً، وما بين الرسائلِ، كان هناك ظلٌّ عابرٌ لا يظهرُ كثيرًا، ظلُّ روحٍ تقفُ عند أبوابِ الحكايةِ، تقرأُ، وتبتسمُ، وتؤمنُ أنَّ اللهَ الذي يكتبُ للنِّهاياتِ اكتمالَها، يعلمُ أسرارَ القلوبِ التِّي لم تُفصحْ

عن كلِّ ما فيها، لذلك لم يكنْ هذا الكتابُ توثيقًا لرسائلَ متبادلةٍ فحسبُ، بل شهادةً على أنَّ الحبَّ الحقيقيَّ ما زال قادرًا على الحياةِ، وأنَّ الأرواحَ حين تتعارفُ حقًّا، تصبحُ المسافاتُ والتَّواريخُ والأمكنةُ تفاصيلَ صغيرةً أمام دهشةِ اللِّقاءِ، هذه الصَّفحاتُ ليستْ حبرًا على ورقٍ، بل نبضاتٌ عاشتْ، وذكرياتٌ تنفَّستْ، وأرواحٌ تركت آثارها بين السُّطور، فإن وجدتَ نفسكَ في حرفٍ منها، أو لامس قلبَك شيءٌ من دفئها، فاعلم أنَّ للحبِّ لغةً لا تحتاجُ إلى تُرجمانٍ، وأنَّ بعضَ الحكايات لا تنتهي عند آخر صفحةٍ، بل تبدأُ هناكَ .

الشاعرة العراقية بنين فراس .

أبعدُ من المكان والزمان .

بعضُ الحكاياتِ لا تبدأُ من لقاءٍ، ولا تنتهي عند وداعٍ، بل تولدُ في مكانٍ أبعدَ من الأزمنةِ والأمكنةِ، في تلكَ البقعةَ الخفيَّة من الرُّوحِ، حيثُ تتعارفُ القلوبُ قبل أن تتصافحَ الأيدي، وحيثُ يكتبُ القدرُ أوّلَ سطرٍ من الرّوايةِ قبلَ أن ينتبه الأبطالُ إلى وجودِها، ولطالما آمنتُ أنَّ الكلماتِ ليستْ حروفًا تُكتبُ، بل أرواحًا تبحثُ عمَّن يُشبِهها، وحين مررتُ بهذه الرَّسائلِ، شعرتُ أنَّني لا أقرأُ نصوصًا مُتَبَادَلَةٌ بين اثنين، بل أقفُ أمام عمرٍ كاملٍ يتكلّمُ، كان هناكَ حرفانِ فقطْ؛ راءٌ وعينٌ، لكنَّ المسافةَ بينهما كانتْ أوسعَ من الجغرافيا، وأعمقَ من الوقتِ، وأبعدَ من كلِّ ما تقيسه الأيامُ، بكلِّ رسالةٍ كان قلبٌ يقتربُ، وبكل جوابٍ كانتْ روحٌ تعثرُعلى نفسها من جديدٍ، وحين كانتْ الكلماتُ تنتهي، كان الصَّمتُ يُكملُ ما عجزتْ عنه اللغةٌ، جمعتُ هذه الصفحاتِ كما تُجمعُ النُّجومُ المتناثرةُ في سماءٍ واحدةٍ، لا لأحفظَ قصَّةَ حبٍّ، بل لأشهدَ أنَّ بعضَ المشاعرِ تبقى أنقى من أن يفسدها الزَّمنُ، وأكبرَ من أن تحتويها

التعريفاتُ، فهنا لا يتحدَّثُ رجلٌ إلى امرأةٍ، ولا امرأةٌ إلى رجلٍ، بل يتحدَّثُ وطنٌ إلى وطنٍ، وروحٌ إلى روحٍ، وقلبٌ وجَدَ أخيرًا الاسمَ الذي كان يبحثُ عنه منذُ سنو اتِه الأولى، أمَّا ما لم يُكتبْ، فهو أكثرُ ممَّا كُتبَ، وما لم يُقلْ أوسعُ من كلِّ الكلماتِ، فبين السُّطورِ دائمًا أسرارٌ لا تظهرُ، وخطواتٌ خافتةٌ لروحٍ كانت تمرُّ بهدوءٍ، تلتقطُ من الحروف ما يشبهها، وتتركُ للقدر بقيَّةَ الحكايةِ، لذلكَ لا تَفْتَحْ هذه الصَّفحاتِ بِعَيْنَيْكَ فقطْ، افتحها بقلبكَ، فربَّما تجدُ بين حرفِ الرَّاءِ وحرفِ العَيْنِ شيئًا من نفسكَ، وربَّما تجدُ حكايةً لم تُكتبْ لكَ، لكنَّها مرَّتْ بالقربِ منكَ ذاتَ دعاءٍ.

الشاعرة العراقية: بنين فراس .

بين قَلْبَيْن يَشْتَعِلَانِ .

اقتربتْ منّي راءٌ، وأودعتْ بين يديَّ كلماتٍ أثقلَ من أن تحملها الحروفُ، ثم همست :

" إذا رأيتَ علاء فلا تُعطه هذه الرّسالةَ، بل أعطه ما عجزَ لساني عن قوله، وقل له: إنَّني ما زلتُ أضع اسمه في أوّلِ الدُّعاءِ، وما زلتُ أتركُ لله ما عجزتُ عنه. "

ثُمَّ ابتسمت ابتسامةً يشبهها البكاءُ، وقالت:

"وبعد أن تُخبره، اتركنا وامضِ، لا تبقَ طويلًا بين قلبين يشتعلان؛ فالوسيطُ لا يملكُ إلَّا أن ينقلَ الوجعَ، لا أن يطفئه."

فأخذتُ الرّسالةَ، ومضيتُ بصمتٍ، وخلفي كان قلبان يتحاوران بالدُّعاءِ، وأمامي طريقٌ طويلةٌ، أدركتُ فيها أن أصعبَ الأدوارِ ليس دورَ العاشقِ، بل دورَ مَن يشهدُ الحبَّ ولا يملك إلَّا أن يحمل صوتَه من قلبٍ إلى قلبٍ .

الشّاعرةُ العراقيةُ: بنين فراس .

عَبْرَ الآخرِ .

الأديبَ العاشقَ، كلُّما قرأتُ لكَ، أدركتُ أنّك لا تكتبُ رسائلَ بقدرِ ما تكتب خرائطَ شعوريةً، تبحثُ لنفسِها عن شكلٍ جديدٍ .

نصوصُكَ تبدو للوهلةِ الأولى رسائلَ وجدانيةً، لكنَّها في العمقِ محاولاتٍ دقيقةً لإعادة صياغةِ الذَّاتِ عَبْرَ الآخرِ، حتى تكادُ الحبيبةُ تتحوّلُ من شخصٍ إلى وظيفةٍ لُغويةٍ تعيدُ ترتيبَ العالمَ الدَّاخليَّ للكاتبِ، في رسالةِ " سرّ سعادتي " لم تكنْ السَّعادةُ محورًا، بل كانتْ غطاءً لوجعٍ يُصرُّ أن يَتَجلَّى عَبْرَ الضَّوءِ، و رسالةِ " في التَّاسعَ عَشَرَ من يناير "، الرَّقمُ ليس تاريخًا، بل وسمٌ روحيٌّ تُعلَّقُ به لحظةٌ لا تريدُ لها أن تفْلتَ، وفي رسالةِ " أحبُّكِ يا أنا "، يكتملُ المشهدُ، فالحبُّ لا يتَّجه إلى الآخرِ، بل يعودُ إلى مكانِه الأوَّلِ، إلى الذَّاتِ التِّي تبحثُ عن خلاصِها عَبْرَ مرآةِ الحبِّ، هذا الوعي اللُّغوي ما يلفتني، لا كثافةَ الشُّعورِ، فنصوصُكَ تتجاوزُ البَوْحَ، وتحاولُ أن تصبحَ موقفًا وجوديًا أكثرَ من كونِها عاطفةً مَحضَةً، دمتَ تكتبُ ما يجعلُ القارئَ يُعيدُ قراءةَ نفسِه قبلَ أن يُعيدُ قراءةَ رسائلَكَ بـ " إلى السَّيِّدة راء " .

أجبتها قائلًا :

سَيِّدَتي الفاضلةَ، أقسى ما يمكنُ أن ينالَ من الكاتبِ وغيْرِه ممَّن وقعوا أسرى القلمَ أو غيْرَه من دروبِ الفنِّ وجداولِه التِّي لا تحصى ولا تنتهي أن يفقدَ الشَّغفَ، أن يُصابَ بشتاءٍ طويلٍ تتجمّدُ معه أناملُه، ويدخلُ شيطانُ إلهامِه في سباتٍ عميقٍ يعقبه حالةٌ سوداويةٌ من الكآبةِ والمعاناةِ الصَّامتةِ، ولأنّني لستُ ممن يجيدون الكتابة التُّجاريَّةَ، أو تَلَبُّسَ رداءها الماديَّ، فحين أفقدُ الشَّغفَ أشعرُ بروحي تتسرَّبُ منِّي وكأنَّها تستسلمُ لشبكةِ الموتِ البطئِ .

لعلَّ هذا يُفسرُ خَلْقِي لرمزٍ روحيٍّ من بطونِ تاريخِ العشقِ ومعاجمِها تحفظُ لي خيطًا رقيقًا لا ينفصلُ ولا ينقطعُ، رغمَ أنَّه أحيانا يتدللُ ويرفلُ في ثوبِ بعدٍ ليسَ به يليقُ .

شكرًا لكِ على نقدٍ يضمنُ لي مدادًا خصبًا من الشَّغفِ الذي يضمنُ لي حيواتٍ جديدةً مع خبايا الحرفِ وعبقِ الكلماتِ .

روضة مبارك العامري، كاتبة وروائية قطرية .

قراءة في " إلى السَّيِّدة راء " .

" إلى السَّيّدة راء "

كتابٌ في فنّ أدبِ المراسلاتِ تتجلَّى فيه لغةٌ وجدانيةٌ مُشْبَعةٌ بالشَّغفِ والحنينِ، حيثُ تتحوّلُ الكتابةُ إلى مساحةِ اعترافٍ إنسانيٍّ كثيفٍ، تتداخلُ فيها العاطفةُ بالفكرةِ، والبَوْحُ بالتَّأملِ، يكتبُ الأديبُ العاشقُ بروحٍ شفَّافةٍ تميلُ إلى التَّكثِّيفِ الشُّعوريّ والصُّورةِ الرُّومانسيّةِ الحالمةِ، مستندًا إلى لغةٍ قريبةٍ من القلبِ، تُحسنُ التقاطَ هشاشةِ الإنسانِ أمامَ الحُبِّ والفقدِ والانتظارِ، النُّصوصُ تنبضُ بصدقِ الإحساسِ، وتمنحُ القارئَ حالةً من التَّماهي مع الأسئلةِ الوجوديةِ الصَّغيرةِ التِّي يثيرها العشقُ حين يصبحُ وطنًا ومعنىً ونجاةً .

أجاد الكاتبُ في التَّعبيرِ بمنتهى الصِّدقِ والشَّفافيةِ عن صدقِ المشاعرِ التِّي تَتَمَلَّكُ المُحِبَّ، فيصبحُ المحبوبُ صوتَ نبضِ القلبِ وتُمسي صورتُه الشَّفافةَ طيفًا لا يُفارقُ المُحبَّ أنَى اتَّجه .

في رسائله كلُّ ما يريدُ أن يقولَه العاشقون، وفيها تعبيرٌ عن أقصى ما يمكنُ أن يشعرَ به المُحبُّ، لغةٌ أنيقةٌ بسيطةٌ بعيدةٌ عن التَّكلُّفِ، والتَّعقيدِ، ولعلَّها الوصفُ الأصدقُ لإحساسِ الرُّوحِ إذا أسرها الوجدُ والهُيامِ.

د- نبراس إبراهيم، صحفية وكاتبة سورية.

الأديبُ العاشقُ .

كلَّما قرأتُ للأديبِ العاشقِ أجدُ نفسي مأخوذًا بهذه القدرةِ المُدْهِشَةِ على الجَمْعِ بين النَّفَسِ الرُّومَانسيِّ الحَالِمِ الذي لا يكتفي بلمسِ ظواهرِ الحياةِ والأشياءَ، و إنَّما يسعى للمسِ قلبِها، والنَّفاذِ إلى جوهرِها، والرُّؤيةِ العقلانيَّةِ التِّي تَشَكَّلَتْ عَبْرَ قراءاتٍ واسعةٍ في الكُتبِ وفي الحياةِ، بحيث جَعَلَتْه يتجاوزُ مرحلةَ التَّلقِّي إلى مرحلةِ المحاكمةِ، فهو يحاكمُ كلَّ فكرةٍ، ويختبرُ كلَّ ما يظنُّه النَّاسُ ثابتًا راسخًا أو حتى بدهيًّا مُسلَّمًا به، والقدرةَ اللامُتَنَاهِيةَ على عشقِ الحياةِ والدِّفاعِ عن قِيَمِها الأصيلةِ الجميلةِ النَّبيلةِ، والمَلَكَةَ التِّي تتيحُ لها أن يُقدِّمَ لونًا من الكتابةِ السَّيكولوجيةِ، التِّي تشرحُ النَّفسَ الإنسانِيَّةَ بمشرطِ جرَّاحٍ ماهرٍ أريبٍ، يعالجُ ولا يجرحُ.

أتَعَجَّبُ كيف يمكنُ أن تكونَ شخصياتُه حالمةً مُقاتِلةً في آنٍ واحدٍ؟ وكيف تزيدها ثقافتُها معاناةً وألمًا، وكأنَّها تستعيدُ قولَ القائلِ:

ذو العَقلِ يَشقى في النَعيمِ بِعَقلِهِ

وَأَخو الجَهالَةِ في الشَقاوَةِ يَنعَمُ .

وتأتي رسائله الأدبيةُ تُرجمانًا صادقًا لِنَفْسٍ مُحِبَّةٍ مُعَذَّبَةٍ تَوَّاقَةٍ إلى قِيَمِ الحقِّ والخيرِ والجمالِ .

الشاعر والإعلامي المصري / السيد حسن .

قبلَ أنْ يَدُقَّ المُنَبِه .

إلى مَن يعرفُ أنَّ بعضَ الأسماءِ لا تُكتبُ، لا أعرفُ كيفَ يستطيعُ قلبٌ أن يسكنَ قلبًا آخرَ دونَ أن يَطرُقَ بابَه ؟

كل ما أعرفه أنَّني منذُ مَرَرتَ في روحي، لم تعدْ الأشياءُ تعرفُ أسماءها الأولى؛ صارَ اللَّيلُ يُشبِه انتظارًا، وصارَ الصَّباحُ يُشبه وعدًا مؤجَّلا، وصارت المسافاتُ مُجَرَّدَ وهمٍ، لأنَّ الأرواحَ لا تؤمنُ بالجغرافيا .

أمَّا بعدُ، لم أعدْ أشتاقُ إليكَ كما يشتاقُ النَّاسُ، بل كما تشتاقُ الأرضُ لأوَّلِ قطرةٍ بعد قرونٍ من الجفافِ، أفتقدكَ بالطَّريقةِ التِّي يفتقدُ بها النَّبضُ قلبَه، والنُّورُ عينَه، والدُّعاءُ صاحبَه قبل أن يؤمنَ بأنَّ اللهَ سيستجيبُ، أخاف عليكَ أكثرَ ممَّا أخافُ منكَ، وأحبُّكَ أكثرَ ممَّا أستطيعُ الاعترافَ به، وأخفيكَ في دعائي كما يُخفي العابدُ أمنيتَه الأخيرةَ بين السَّجدةِ والتَّسليمِ، وكلَّما قالوا: إنَّ الغيابَ يُعَلِّمُ النِّسيانَ ابتسمتُ ، لأنَّهم لم يعرفوا أنَّ هناكَ أرواحًا إذا غابتْ حضرتْ في كلِّ شيءٍ؛ في رائحةِ القهوةِ، في ارتباكِ الحروفِ، في الدُّعاءِ الذي يسبقُ

النَّومَ، وفي المُنَبِّهِ الذي لا يوقظني، بل يوقظُ اسمًا يسكنُ قلبي، هناكَ موعدٌ لا يعرفه أحدٌ، موعدٌ يتكرَّرُكلَّ فجرٍ، قبل أن يُعلنَ الوقتُ ميلادَ يومٍ جديدٍ بلحظاتٍ، في تلكَ الدَّقيقةِ، أبتسمُ دونَ سببٍ، وكأنَّ روحي تحفظ عهدًا لا يقرؤه سواكَ، إن قرأتَ هذا يومًا، ستعرفُ أنَّني كنتُ أُحدِّثَكَ منذُ السَّطرِ الأوّلِ، وأنَّ التَّاريخَ لم يكنْ تاريخَ كتابةٍ، بل تاريخَ نجاةِ قلبٍ من الصَّمتِ، الثَّانيةُ بعدَ مُنْتَصفِ اللَّيلِ قبل أن يدقَّ المُنَبّه ويستيقظُ قلبي على عادته.

الشَّاعرةُ العراقيةُ: بنين فراس .

رسالةٌ إلى عيْنٍ وراءٍ .

إلى السَّيِّدةِ راءٍ ، وإلى الأديبِ العاشقِ " علاء " الذي لم يكن اسمًا بقدر ما كان طريقًا امتدّ بين قلبين تعلّما كيف ينجوان من البُعد دون أن يفقدا الإحساسَ ببعضهما، لم يكن الحبُّ بينكما بدايةً عاديةً، بل كان تأخيرًا مقصودًا من القدر، وكأنّ اللهَ أرادَ أن يُنقّي الأرواحَ من غربتها قبل أن يسمحَ لها أن تتلاقى، فكان الفراقُ جزءًا من التَّمهيدِ، وكان الانتظارُ لغةً سِرّيَّة تدرسُ فيها القلوبُ معنى الصَّبرِ قبل معنى اللِّقاءِ، وحين اقتربتما، لم يعد القربُ مُجَرَّدَ مسافةٍ تُختصرُ، بل صار امتحانًا لمعنى أن يظلَّ القلبُ ثابتًا رغمَ كلِ ما حاول أن يسرقه منه الغيابُ، فالحبُّ بينكما لم يكن ضوءًا مفاجئًا، بل نورًا تَشَكَّلَ من رمادِ تعبٍ طويلٍ، ومن دعواتٍ خافتةٍ كانت تُقال في وحداتِ اللّيل دونَ أن تُسمع إلَّا في السَّماءِ.

وإن كان بينكما فراقٌ يومًا، فأنه لم يكن انطفاءً، بل إعادةَ ترتيبٍ لما لا يُهزم في الرُّوحِ، فبعض الأرواح لا تُفترقُ، لكنَّها تُؤجَّلُ إلى وقتٍ أرحمَ .

اللَّهمَّ إن كان بينهما خيرٌ فقرّبهما إليكَ قربًا يليقُ بصدقِ ما في قلبيهما، وإن كان في البعدِ نجاةٌ من وجعٍ لا يُرى فاجعل بينهما سلامًا لا يجرحُ الحبَّ ولا يطفئه، واجعل ما بينهما نورًا لا يُطفأُ حتى وإن اختلفت الطُّرقُ.

إلى راء، كنتِ المعنى الذي لم يُقل، وإلى علاء ، كنتَ الطَّريق الذي لا ينتهي، وإلى كليكما، إنَّ الحبَّ الحقيقيَّ لا يحتاجُ أن يُكمِلَ نفسَه، بل يكفيه أن يظلّ حيًّا حتى في الغياب .

الشاعرة العراقية: بنين فراس .

فهرس

إهداء..... ٥
مقدمةٌ لا بدَّ منها..... ٧
يَتَشَابَهَان ٩
حِضْنُكِ الدَّافِئُ ١١
يَوْمًا ما ١٤
أَجْمَلُ الأقدَارِ..... ١٥
الحَالَةُ الرَّائِيَّةُ ١٦
صَبَاحُكِ بجمالِ رِقَّتِكِ ١٧
لَيْسَتْ شَيْئًا ١٩
صباحٌ أنتِ أجملُ ما فيه ٢١
هُوِيَّتِي ٢٣
أَنِيسُ قَلْبِي ٢٤
سبعةٌ وثَلاثُون يومًا ٢٥
روايَاتُ تَلاقِينا ٢٧

عَمِيقَةُ العَيْنَيْنِ ٢٩
إلى أنْ نَلْتَقِي ٣١
وفي رمضانَ أحبُّكِ ٣٣
أرِحْ قَلْبَكَ ٣٥
فَرْطُ الشَّوْقِ ٣٧
لا يَخْضَعُ لقانونِ المَسَافَاتِ ٣٩
في قلبي أنتِ ٤١
ونظرةٌ مِن عَيْنَيْها تكفي ٤٢
الذكرى الخامسةَ عَشْرةَ ٤٤
لقاءٌ بلا ارتواءٍ ٤٧
يومَ تلاقِينا حَبِيبَتِي ٥٠
في تفسيرِ عِشْقِكِ ٥٢
أراكِ في كلِّ شيءٍ ٥٥
أنتِ وطني ٥٧
قراءةٌ في " أنتِ وطني " ٦٠
حياةُ قلبي ٦٢

قراءةٌ في " حياةٌ قلبي " ٦٤
أَصْلُ النَّشْأةِ والتَّكْوينِ ٦٦
حدُّ السُّكرِوالهذيانِ ٦٨
اغتصابٌ بورقةٍ رسميةٍ ٧٠
عانق أمواجَ حُلمِكَ ٧٤
كنْ كزخَّاتِ المطرِ..... ٧٦
لمثلِ هؤلاءِ ٧٨
هَلْ هُوَ أَنْتَ؟..... ٨٠
سأقاتلُ دونكَ ٨٣
ملاذي وموطني ٨٦
تشعرُ أنَّك جَديرٌ..... ٨٨
عتابُ العَاشِقَيْن ٩١
أبالُك مشغولٌ بمَن رحلوا؟..... ٩٤
نُقْطَةُ تَحَوُّلٍ ٩٦
يكفيني أنَّكِ فيه ١٠٠
مِن بين كلِّ البشرِ..... ١٠٣

شكرًا حَبِيبَتِي ١٠٦
خلفَ الاهتمامِ ١٠٨
لا أحدَ يُعَوِّضَ غِيَابِكَ ١١٢
نورُ القَمَرِ ١١٥
لا يهمُّ أين الوَجِهَةُ ؟ ١١٧
تصلُحُ للعمرِ كُلِّه ١١٩
تحتَ تأثيرِ الاحتياجِ ١٢٢
يَسكبُ نَفْسَهُ في نَفْسِه ١٢٥
هلاوسُ الوَعْي ١٢٧
ويبقى الأَمَلُ ١٣٠
الرَقْمُ الأوحدُ ١٣٢
رسالةٌ ضِمْنِيَّةٌ ١٣٤
رسائلُ الخَريفِ والشِّتَاءِ ١٣٦
العَشْرِيَّةُ السَّوداءُ ١٣٩
الأحبابُ دائمًا يرحلون ١٤١
رسالةُ اعتذارٍ ١٤٣

لا يختفي وقتَ الانهيارِ..... ١٤٥
سَتُزْهِرُيَومًا ما ١٤٧
بين أملٍ وألمٍ ١٤٩
النَّوايا ١٥٠
تعلَّمتُ الدَّرسَ ١٥٣
دونَ أن تلتقي منَّا العيونُ ١٥٥
إن جيت في بالك ١٥٩
وتأخذني إليكَ ١٦١
قراءةٌ في " وتأخذني إليكَ " ١٦٣
هنا ملاذُكِ وموطنُكِ ١٦٥
١- قراءةٌ في " هنا ملاذُكِ وموطنُكِ " ١٦٧
٢- قراءةٌ في " هنا ملاذُكِ وموطنُكِ " ١٦٩
لعنةُ الحبِّ أم لَعْنَتِي ؟..... ١٧٠
من راءٍ إلى عينٍ ١٧٢
على هيئة رسائلَ ١٧٤
أبعدُ من المكان والزمان ١٧٦

بين قَلْبَيْن يَشْتَعِلَانِ ١٧٨
عَبْرَ الآخرِ.....١٧٩
قراءة في " إلى السَّيِّدة راء " ١٨١
الأديبُ العاشقُ ١٨٣
قبلَ أنْ يَدُقَّ المُنَبِه ١٨٥
رسالةٌ إلى عيْنٍ وراءٍ ١٨٧